من روائع الأدب التركي
(للأطفال)

نجم لكل طفل

(حكايات للأطفال)

مصطفى روحى شيرين





نَجْمٌ لكل طِفْل

«حكايات للأطفال»

تأليف

الكاتب التركى : مصطفى روحى شيرين

رسومات

فِسون إيجيل

ترجمة

صبرى توفيق همام

مراجعة

أ . د . الصَّفْصَافِى أحمد القطورى



رقم الإيداع ١٧٣٤٢/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : ISBN 977 - 361 - 656 - 8

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

تُرجم هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة التركية

التعريف بالكاتب

وُلد مصطفى رَوْحى شيرين فى طرابزون عام ١٩٥٥م، وأتم دراسته الجامعية فى مجال الاتصالات. تولى مهام فى إذاعة وتلفاز تركيا عام ١٩٧٧م، وقام بإنتاج برامج للأطفال فى الإذاعة، وتولى إدارة مثل هذه البرامج. تولى التدريس فيما بين أعوام ١٩٨٦-١٩٩١م بجامعة إستانبول فى ميدان الاتصالات خلال عام ١٩٩٠م أسس وقف الأطفال وهو معروف فى تركيا ككاتب للأطفال. وأعماله بقدر توجهها للأطفال فهى موجهة أيضًا للبالغين.

نشر العديد من كتب الأطفال، منها «خطابات الحواديت» عام ١٩٨٣م، «زهور وجه السماء»، شعر عام ١٩٨٣م، «العصفور الذى قلى الطفل» ، شعر عام١٩٩٠م، «الفراشة التى تحت الثلج » شعر مصالى عام ١٩٨٦م. «نجم لكل طفل» مجموعة قصص عام١٩٩٣م، «الطفل الذى يرى أحلامًا زرقاء»، حدوته عام ٢٠٠٣م. «القطة التى تعزف الموسيقى ليلاً» عام ٢٠٠٤م.

أما كتبه للبالغين فهى: «كتابات ذات وجه طفولى» عام ١٩٩٦م، «ساعة الأحلام»، شعر عام ١٩٩٧م. «أبحاث عن الطفل والتلفاز» عام ١٩٩٨م، «محادثات نذرت للأطفال» عام ١٩٩٨م، إلخ.

وقد تم ترجمة بعض أعماله إلى اللغة الرومانيه عام ١٩٩٥م وإلى اللغة المقدونية عام ١٩٩٦م، وفى عام ١٩٩٣م نال جائزة هيئة اليونسكو عن حكاياته المصورة.

المترجم :

- صبري توفيق همام
- تخرج في كلية الآداب سوهاج ١٩٩٢ م.
- حصل على الماجستير في الأدب التركي .
- حصل على ألدكتوراه فى الأدب التركي ٢٠٠٢ م.
- له العديد من المقالات والأبحاث بالعربية والتركية .

المراجع :

- أ. د/ الصفصافي أحمد القطوري .
- أستاذ اللغة والآداب التركية فى الجامعات المصرية والعربية .
- له العديد من الأبحاث والمؤلفات والترجمات التى تدور حول الثقافة والحضارة العثمانية والتركية الحديثة والمعاصرة.
- حائز على جائزة الترجمة حَوْل الترجمات الإبداعية فى الأدب الإسلامى.
- نقل العديد من الأعمال الإبداعية التركية المعاصرة إلى اللغة العربية.

المحتوى

إلى الأطفال الذين ماتوا

فى مَجازِر البُوسْنَة...

قِطة الرَّجُل الثَّلْجِي





عَرُوسَة سُونا

سونا كانت طِفْلة ضَاحِكة. كادت أختها الكبرى تَطِير من السعادة يوم مولدها، وكانت لها عينان بنفسجيتا اللون، وشعر جَعد أسود، ومَشَت على قَدَمَيها إذ كانت عُمْرها سَبْعَة أشهر، تكلمت فى الشهر العاشر، وعندما بَلَغَت السَّنَتين غَنَّت، كانت تُضْحِك كل من يسْمَعها، ومن لطفها كانت تَطهى الشوربة وهى فى سن الثالثة، وكانت تَكْنِس المنزل، ولما كان عمرها ٤٨شهرًا كانت تَلِج الخَيْط بالإبْرة، وتَحيك جَواربها المقطوعة.

تعلمت القراءة فى سن الخامسة. وكانت كل كُتُب سونا بها صور ، وتُحيط بها الحُرُوف الأبْجَدِيَّة. أما المادَّة التى لم تكن

تُحبها مطلقًا هى مادة الرياضيات. وكانت تقول: «واحدٌ زائد واحد يساوى واحدين» ثم تَضْحك؛ ولم تكن عِلاقتها على ما يرام بكتب التواريخ، ولهذا كانت أختها الكبرى تقطب حاجبيها عندما كانت تخلط بين كتب الأحياء.

هل كانت سُونا تُكْثِر من الكلام؟ كانت تكثر الكلام، وكانت تَسْعد كثيرًا من حَديثها مع عروستها. عندما كانت تجعل لُعْبَتها تنام، كانت تَرْكض إلى جانب أمها، كانت أمها لا تَصْبِر على ثرثَرَتها.. أختها الكبرى تَضَع أصابعها فى آذانها، كان أبوها أَفْضَل من يَسْمَعها، جُدْرَان غُرْفتهَا مُزَيَّنة بصُوَر الحيوانات. كانت القِطَّة فى الأمام وفى الخَلْفِ الحَمَل والكَلْبُ والفيل والزَّرافة والأسد بجوار بَعْضِهِم بَعْضًا. سُونا كانت فى الخَامِسة من عُمْرها، لكن لم يكن ينقُصها شىء عن أختها الكبرى؛ حيث لَدَيْها مَحْفَظَة وشنطة مدرسة.

كانت فَوْر أن تَرَى أختها قد بَدَأت واجبات المدرسة، تَقْترب منها وتَسْألها أسئلة أكبر من سنها:

– ما هو الزمان؟

وكانت تجيب على نفسها:

– هو عدد الخطوات.

– وما التقويم؟

– هو خريطة الزمن.



أما أكثر الأشياء التى كانت تُسْعِدها هو القَهْقَهَة وهى تَبْتَعِد عن أختها وهى تضحك. وكانت بِمُجَرد

أن تعرف بذهاب أمها إلى السوق كانت تُسرع وهى فى غُرْفَتِها ، فتُمَشط شَعْرها أولاً، وكانت لا تَنْسى أن تَضَع به تُوك الشَّعْر. وحِين كانت تنْطَلق خارِجَة من غُرْفَتِها لم تكن تَنْسى أن تأخذ فى يدها حقيبة صَغِيرة، وعلى طول الطريق كانت تُقَلِّد كل شىء تراه، فكانت تقول: «قُبَّعة» على الشَّمْسِيَّة التى تحمى الرجل من الشمس.

كانت تَصيح من بعيد على الطِّفْل الذى يذهب إلى السوق مع جده، وتقول:

- أليس لديكم شَجَرَة خُبْز فى المنزل؟

عندما نظر إليها الطفل بِدَهْشَة واسْتغْراب .

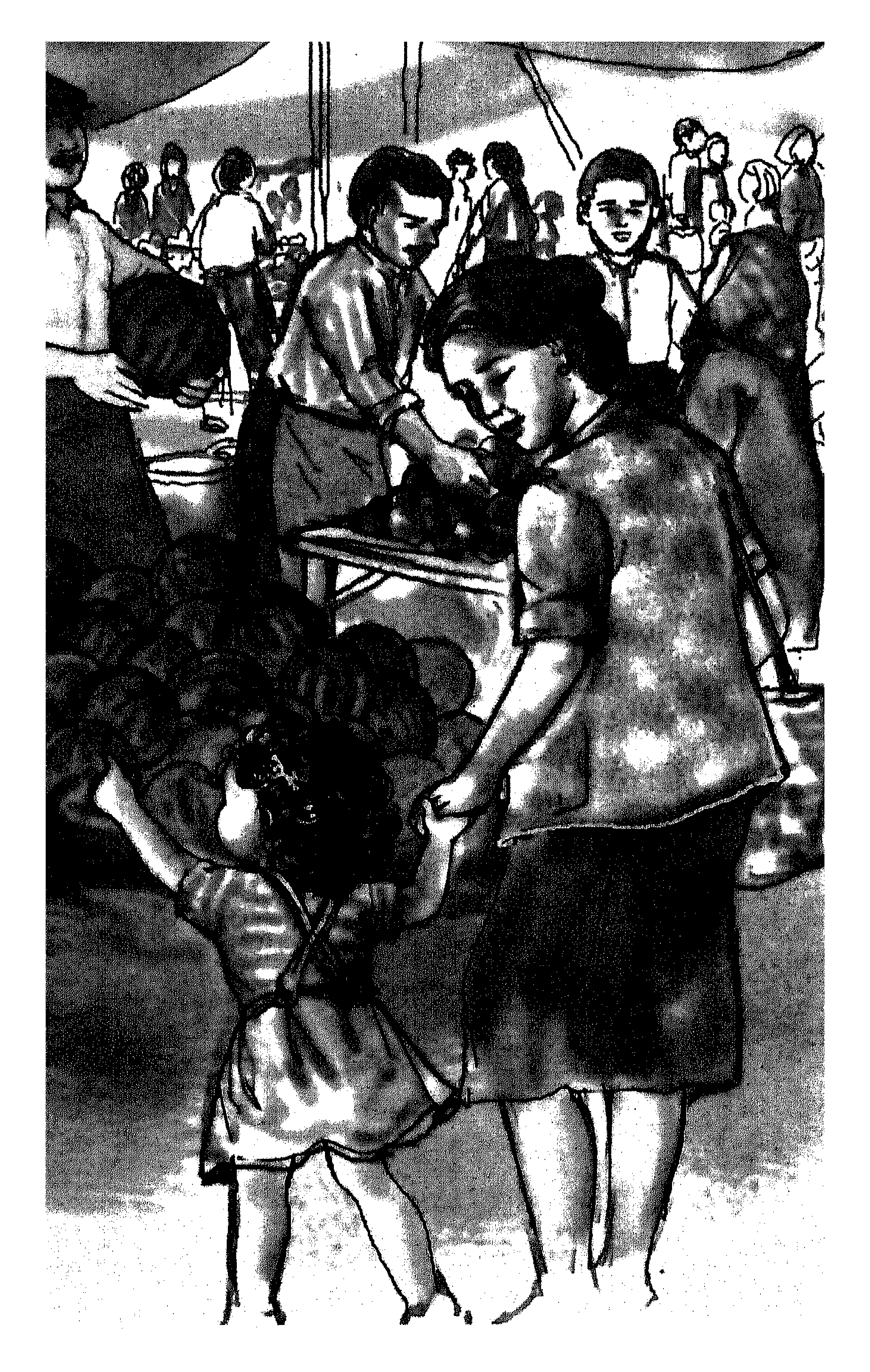
كانت أمها تقول: اصمتى، هذا عيب! شىء كهذا لا يُقال.

- انظرى إليه يا أمى، لعله لا يَسْتَطِيع أن يَسِير على قَدَمَيْه من الضعف.

عِنْدما ضَغَطَت أمها على يَدها صَمَتت سونا فى الحال.

وفور أن وطئت قَدَماها أرْض السُّوق شَعَرَت بالانفعال، فلم يكن هناك فَرْق بالنسبة لها بين السُّوق وبَيْن العِيد، وكانت تُشِير على كل ما تَرَاه، وتسْأل قائلة: ما هذا؟

وكانت أمها تُحَذِّرها وتقول: لا تَتَحَدَّثِى بصَوْت عالٍ مهما يكن!



- لماذا الكلام مَمْنوع فى السُّوق، وكل النَّاسُ هاهنا يَتَحَدَّثون؟!

- من الأفضل أن تَتَحَدَّثى دون صراَخ.

- أنا آسفة يا أمى!

ثم بلعت ريقَها، وكانت كلما تُرِيد أن تَتَحَدَّث عن شىء جَدِيد تراه، تَتَذكَّر وعدها لأمها.

ثم سارت لفترة وهى صامِتة، وعندما شعرت بالمَلَل بَدأت تَتَحَدَّث مع نفسها:

ماذا يوجد فى السُّوق ؟ ماذا يوجد؟ الكَرَز الضَّاحِك والفراولة ذات الطعم اللاذع، فكانت تقول:

مَرْحبًا ياعم يا بَائِع الجُبن! البَحْر بِجِوَار السُّوق، ألا تَضْحَك قليلاً يا عم بائع السمك، انتبه يا بائع الليمون ، فى السُّوق خِرَاف، بِئْر، بَعْد السوق تُوجد الحقول، فيها البطاطس والبصل والبطيخ.

- يا سيدة عائشة! .. يا سيدة عائشة!

الفاصوليا الطازجة رَخِيصة.

سونا لم تَصْبِر على نداءات البائعين، فأشارت بيدها إلى البطيخ، وقالت لأمها وهى تصيح : إنها ممتلئة ، خذيها يا أمى.

فقالت أمها : اصمتى ! هذا عَيْب كبير!

فَخلَعت تُوكَتها، وكتبت اسمها وَسط البطِّيخَة: سونا. وتجولتا فى السوق من أوله إلى آخره، عَطَشَت سونا، تداخلت الأشياء



أمام عينيهَا :

- هل يُوجد بائعو أسِرة هنا يا أمى؟

- لو أتاك النوم ، هل أستطيع أن أشترى لك مَهْدًا صَغِيرًا؟

- هل هو من أجل الهَوانم اللائى فى سِن الخَامِسة؟

- لو تَحَدَّثن مثل طِفلة فى الشَّهْر السادس !

ملأت أمها حقائب السوق بالأشياء، وحمل الحمال الحقائب فى عربة اليد .. وتداخلت الأصوات وتزايدت الضوضاء فى السوق.

وعِنْدَما مَرَّت سونا أمام بائع لُعَب الأطْفَال صاحت:

- أمى ! أمى! كم هى عَرُوسة جَمِيلة! عيُونُها بَنَفْسجِيَّة. لَمَسَت الدُّمْيَة بإصْبعها الذى تُشِير به، فَضَحكت الدُّمْيَة ورَفَت بِعْينها لسونا ، ثم مدت ذراعيها لها، عندما اشْتَرَتها لها أمها احتضنت سونا دُمْيَتَها اللُّعْبَة.

نَسِيَت سونا السُّوق وتَعَبه، فقالت لأمها :

- هيا لِنَذْهب للمنزل يا أمى، فَلْنُغْلِق أبواب السوق، ونَعُود فى الأُسْبوع القادم.

- فقالت أمها : حسنًا يا بنيتى!

ولكن حينما كانتا عائدتين إلى المنزل بدأت الدُّمية فى البكاء،ولكنها صَمَتت عِنْدَمَا بَدأت سونا تُهَدْهِدُهَا و تُغَنِّى أغانى النِّينِّى، وعندما صَمَتَت الدُّمْيَة أَغْمَضَت سونا عَيْنيْها .

نامت العروسة فى حُضن سُونا

ونامت سونا فى حُضْن أُمِّها .



عَلياء ولُعْبَة الغَمَام

ذات يوم كانت السُّحُب تَتَطَاير فى السَّماء حِين كانَت الشَّمْس تَغْمِز بعيْنها من بين كُتَلِ الغَمَام الناصِعة البَياض، بدأت أمطار الصيف تهطل.

بدأت تَتَطَاير الضَّحَكَات من زهور الصَّيف، وعِنْدما حَطَّت الطُّيور على أغصان الشجر بَدَت وكأنها أكثَر من وَرَق الشَّجر، وظلت الطرقات مهجورة تماماً. تَزَيَّنَت علياء أمام المِرآة، وصَفَّفَت شعرها الأسود الذى كان يتدلى على جَبْهَتها خُصْلَة خُصْلَة، خَرَجت من الغُرْفَة وجَلسَت على المقْعَد المَوْجُود فى البلكونة.

وقالت لزهُور الشَّهْر الحَادِي عَشر: هل أَستَطِيع أن أُعَلِّق قرْطى لك؟

وَوَضَعت الفَرَاشات أقْراطها على الزُّهُور، وكانت تُشْبه شَكْل الفَراشة. وقالت لنفسها: إنه لائق جدًا، دَاعَبت الزهور مُطمَئِنَّة فى داخِلها ولم تَجْد ما تَقُوله ليُسْعدها، فَوَرَد على خاطِرها أن تُغَنى وعَلَى الفَوْر رَدَّدَت كلمات أُغْنِيَّة:

طَارَت فَرَاشَتى طَارَت.

حَطَّت عَلَى زَهْرَتِى الجَمِيلَة

فأصْبَحَت الدُّنْيا أَكْثر جَمَالاً.

هَذِه لُعْبَة مُغَنَّاة.

ذات يَوْم حينما كانت «عَلْيَاء» تشاهد الغُيُوم حَدَّثَت نفسها قائِلَةً: هذه الغَمَامة تُشْبه الجَمَل الأصْفر وتلك التى بِجوارِها ربما تُشْبه الطَّائِر الخَيالى الأبْيض وهذا قَطِيع من الغَنَم يَسِير أمامهم رَجُل ضَخْم من الثَّلج ومن ناحية أيضًا يَتَساءل: أين الرَّاعى؟ الرَّاعى فى الوادى فى البَرَارى وبعد فَتْرَة شَعَرت «عَلياء» وكأنها فوق السَّحاب فَصَاحت على أُخْتها الكُبرى التى كانت تَجْمَع الشَّاى فى الحَدِيقة المَوجُودَة أَمَام المَنْزل:

- هَل تُريدين أن تَلْعبى لُعْبة الغَمَام؟

تَصَنَّعت أختُها كأَنَّها لم تَسْمَع.

فَبَكت «علياء» ولوْ لَم تَبْك «علياء» ما كانت أخْتُها تَركُض ناحيتها وتحتضنها فى البلكونة، وتُقَبِّلها وتُدَاعب خَدَّيهَا قَائِلَة:



- انْظُرى إنه جامع تبدو مِئذَنَته البَيْضَاء كاللبن، كانت أختها الكبرى تقول الصدق. وعِنْدَما استطاعت أن تُمَيِّز الجَامِع بَدأت تُصَدِّق لُعْبَة الغَمَام.

- لا تُضَيِّعى هذه الغَمَامة الصَّغيرة! افْتَحى عَيْنَيْك جَيِّدًا!! نظرى: هاهى ابْنَة السُّلْطَان تَسِير جنبًا إلى جانب مع كَل أُوغْلان(*) ولد أصلع. فى الأمام قليلاً يوجد قَصْرٌ كبيرٌ. يَعْلو صَوْت الطَّبل يأتى من وَسَط الغَمامة الموجودة وكأن الحوريات يَرْكُضْن إلى العُرْس.

- هذا يكفى إنَّك تُبالغِين يبدو أنك نِمْتِ تَحْت شَجَرَة الخَيَال هذه الليلة.

- ليس كَذَلك مُطْلَقًا، الكِبار كُلُّهم ليس لَدَيْهم دِقَّة المُلاحَظة هَذا كُلُّ ما فى الأمْر.

ارتجفت «علياء» مِن صَوْت خَفَقَان جَناح فقالت أُخْتها الكُبْرى:

- إنَّه الطَّائر الطنان كان يَطِير من تَحْت السَّقْف.

- إن حجلى يبتل من المطر! لِماذا لا توجد لدى الطيور شَمْسِيَّة؟

- لأنها طيور.

- لا بُد أن شَمْسِيَّة الفيل ضَخْمَة، ومُثِيرة للإعجاب كشَمْسية الزرافة.

- الحَيَوانات لا تَسْتَخْدم الشمْسيات.

- لماذا؟

(*) كَل أوغلان: بطل شعبى يشبه الشاطر حسن فى الحواديت العربية.

- لأنها ليست لديها أيادٍ.
- فماذا تفعل الفراشات عندما تهطل الأمطار؟
- تكون الأوراق شمسيات لهم؛ لذا عندما تبتل الفراشات تموت.يكفى هذا! لا تسألى عن أشياء أكبر من سنك، عندما تكبرين فستعرفين كل شىء.

فصمتت علياء. هذا أيضًا كالأمير الصغير، وفكرت فى نفسها: لماذا يُشبه الكبار بعضهم؟ كم كانت الفراشات التى حطت على حبل الغسيل فى الشرفة كثيرة..!

وبدأ الغمام يختفى تدريجيًا عندما انتشر الضباب كان المطر يُمطر قطرات صغيرة كقطرات الندى ولكنها تُبلل. كانت علياء تُحب صوت المطر جدًا فهرولت على الفور إلى غرفتها وبدأت تُشاهد الخارج من النافذة.

أختها سألت وقالت لها: على مَنْ الدور فى إمطار المطر هذا اليوم؟

- فقالت علياء: على الفيل انظُرى فإن المطرَ يتساقط من مكان عالٍ إنه يهطل برقة.

عندما أدارت وجهها نحو السماء رأت كأنما تقترب قطرة مطر كبيرة جدًا من المنزل بسرعة واعتدلت القطرة الطائرة.. كبُرت وكبرت أمام النافذة تحولت إلى وردة كبيرة وبدا فى وسط الوردة وجه طفلة ضاحكة، وأسندت جبهتها جيدًا على الزجاج

- أحمل لك سلامًا من نجمك.

ولم تكن علياء قد سَمِعَت صَوْتًا أَجْمَل من هذا الصَّوت قط، فَهَزَّت يَدَها إلى الضَّيْفة التى أَحْضَرها المَطر وقالت ضَاحِكة:

- أهلاً وسهلاً

- أنا اسمى ابْنَة المَطر.

- وأنا - أيضًا - اسْمى علياء.

- أَظْهَر للبنات اللائى يبكى نجمُهُن.

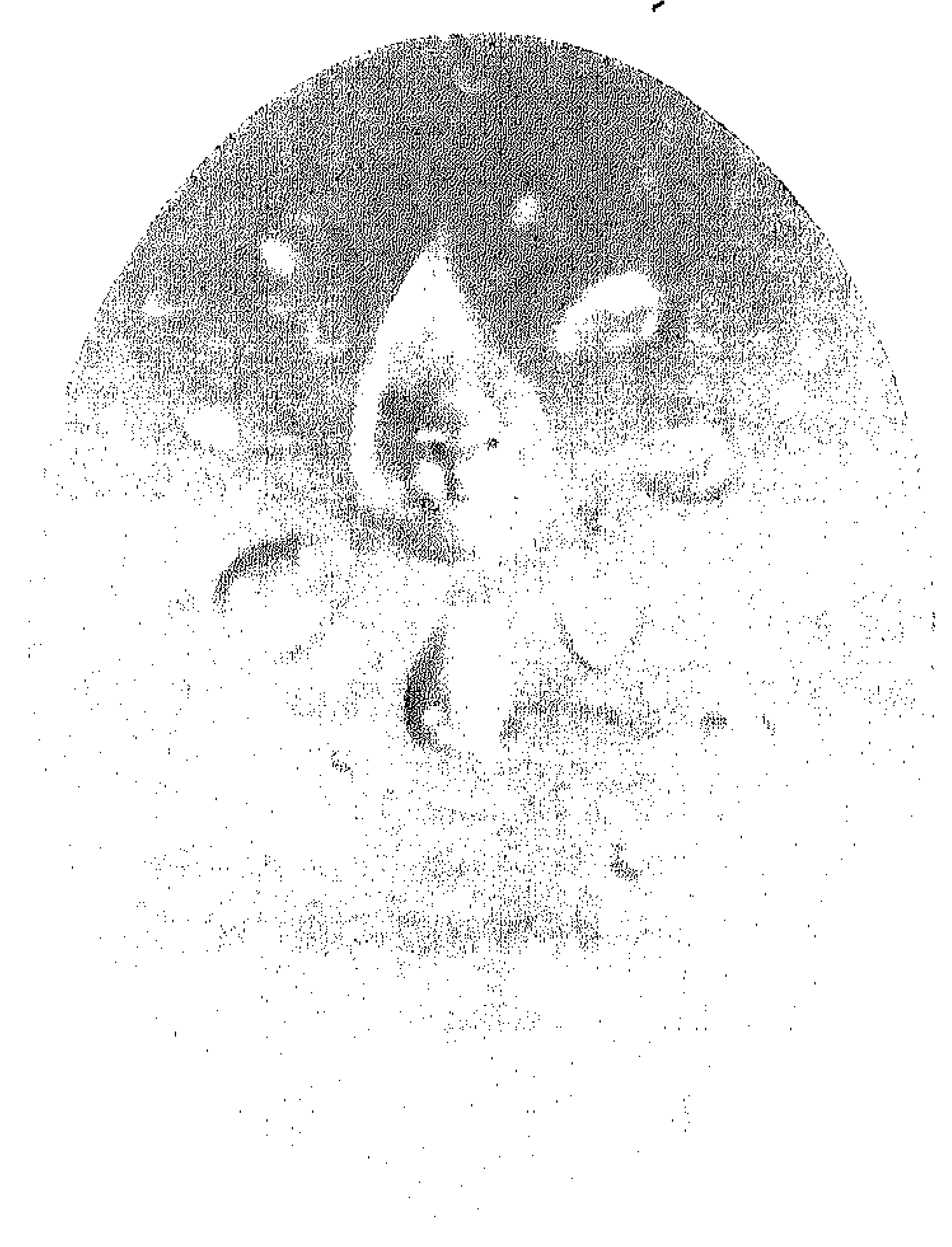
- أختى أيضًا .. هل يُمْكنها أن تَراك؟

- لا أَسْتَطيع أن أَظْهَر لشَخْصين فى وقْت واحد.

وبمجرد أن دَخَلت أُخْتها الغُرْفة طَارَت ابْنَة المَطَر وَذَهبت.

كانت علياء تبْكى .

فاحْتَضنتها أُخْتها وأَحْضَرَتْها إلى الفرَاش ، ولَمَّا كانَت تُغَنِّى لها أَغَانِى النِّينِّى الصيْفِيَّة كانت علياء تَضْحَك.





قِطَّةُ الرَّجُل الثلجى

جاء الشِّتاء على ظَهْر فِيل أبيض .

فَركَض كل الأطْفال المُسْتَيْقِظين إلى النَّوافذ، وكان الجَوُّ أبْيَض كبحر من اللَّبن ، الثَّلْجُ يَهْطل كأُغْنيَة بلا صوت ، كانت السَّماء زرقاء بلا بِدَاية ولا نهاية، كانت الشوارع خالية.

- الثلج غَطَّى السيارات.

الطرقات مُغَطاة بالثَّلْج.

وتَعَطَّلت المدارس.

ولا يُوجَد ما يمكن أن يُسعد الأطْفَال.

وُجُوه الأطْفال زَيَّنَت النَّوافذ، والناس يُشَاهِدون تَسَاقُط الثُّلُوج باسْتِمْتَاع والأطْفال يَجْرون بَعْضهم وراء البَعْض .



وَهكذا امْتَلأت الحَدَائق بالأطْفَال على رءوسهم الطَّراطِير، فى أَقْدامهم الأَبْوَات، يَرْتدون الجَواكِت الصُّوفية والقفازات.

تَجَمَّع الأَطْفَال الذين يُرِيدون أن يَلْعبوا كُرَة الثَّلْج، وكان الآبَاء والأُمهات يَنْظُرون من النَّوافذ. أم «أليف» لم تَحْتَمِل مواء «صَارْمَان» بِمَجرَّد أن فَتَحَت له البَاب رَكَض هابطًا على السلم، ثمَّ التَف حَوْل أَقْدَام «أليف» واسْتَلْقَى على ظَهْرِه، نَهَض ونفض قَدَمَيْه فى الهَواء، حَاول الأَطْفَال أن يمسِكُوا به فَرَكَض هو، طَارَدُوه، الذِين تعبوا أخذوا يَتَزَحْلَقُون وَيَتَقَلَّبون على الثَّلْج.

أما «صارمان» فَقْد ظَل بمُفْرده فوق تَبَّة كنقُطة صَفْرَاء، وكان «صارمان» يُعانى من الوَحْدة، فَحاول أن يَصْنَع كُرَة صَغِيرَة من الثَّلْج الخَفِيف، كانت الكُرَة بَيْضَاوِيَّة الشَّكْل كقبضة اليد، دَحْرَج الأَطْفَال كرة «صارمان» حتى جَعَلُوهَا كَجِزْع شَجَرَة ضَخْم دائرى.

قالت عائشة:

فلْنَصْنَع رَجُلاً من الثَّلج

فقال الجميع فى فم واحد: وحَتَّى لو تَأَخَّرْنا.

واجْتَمَعوا حول الجزع الثَّلْجى، وتَعاوَنوا فى عَمَلِه بسُرْعَة يدًا بيد، وكانوا يتغنون مُمَازِحين:

لم يَنْسنا الثَّلج

إن فى السَّمَاء فَرْحَة

السَّماء تَبْكِى من السعادة

طيرى يا زهرتى البَيْضاء طيرى

حُطى يا زهْرتى الجَميلَة حُطّى

بدأ الأطْفَال فى نَحْت الجزْع الكبير من الثَّلْج ، وكان «فاتح» يُشَكِّل كوْمَة الثلج، والبَنَات تُغَنِّى الأغَانى و«صارمان» يَثِبُ وَيقِفُ ، وقَرَّر الأطْفال أن يُلبِسوا رَجُل الثَّلْج المَلابس حَتَّى لا يَبْرَد :

عَلَى رَأسِه كلبُوش احْمَر

عَلَى رَقَبَتِه شَالٌ اَسْود

عَلَى ظَهْره معْطَفٌ كُحْلِى

لكن عصا المكْنَسة مَكْسورةٌ

نَظارته ذات إطار اَسْود

كان أنْفه كَبيرًا ومُكَوَّنًا من جَزَرَة، وكُل الأطْفال كَانوا يتعلمون ذلك من الرَّسَام الذى يَصْنَع للرجل الثَّلْجى أنْفًا من الجَزَر.

كانت عيْناه من حبتى زيتون سوداويتين .

كانَت يَده اليُمْنَى فى الهَواء عَارِيَة أمَّا يَدُه اليُسْرى فكانت فى جَيْب المعْطف . هكذا كانَت هَيْئَة رَجُل الثَّلْج الذى فى شارعنا، كان بناء رَجُل ضَاحِك من الثَّلْج عَمَلاً مُلائمًا لِكُل الأطْفَال.

أمْسَك الأطْفَال بأيادِى البعض، وأخَذوا يَدورون حول الرجُل الثلجِى، وأخَذوا يُغنون أُغْنِيَة من أجَل رَجُلهم الثلْجِى المَحْبوب، وكانت الأغنية تقول:

دُنْيانا صارت حلْوة



مَرْحبًا أيُّهَا الشِّتاء الحَبِيب
الثَّلْجُ يَضْحك حِينما يمطر
صفق.. امسك ... صفق
غَار أحَدُهم من الرجل الثلْجى .

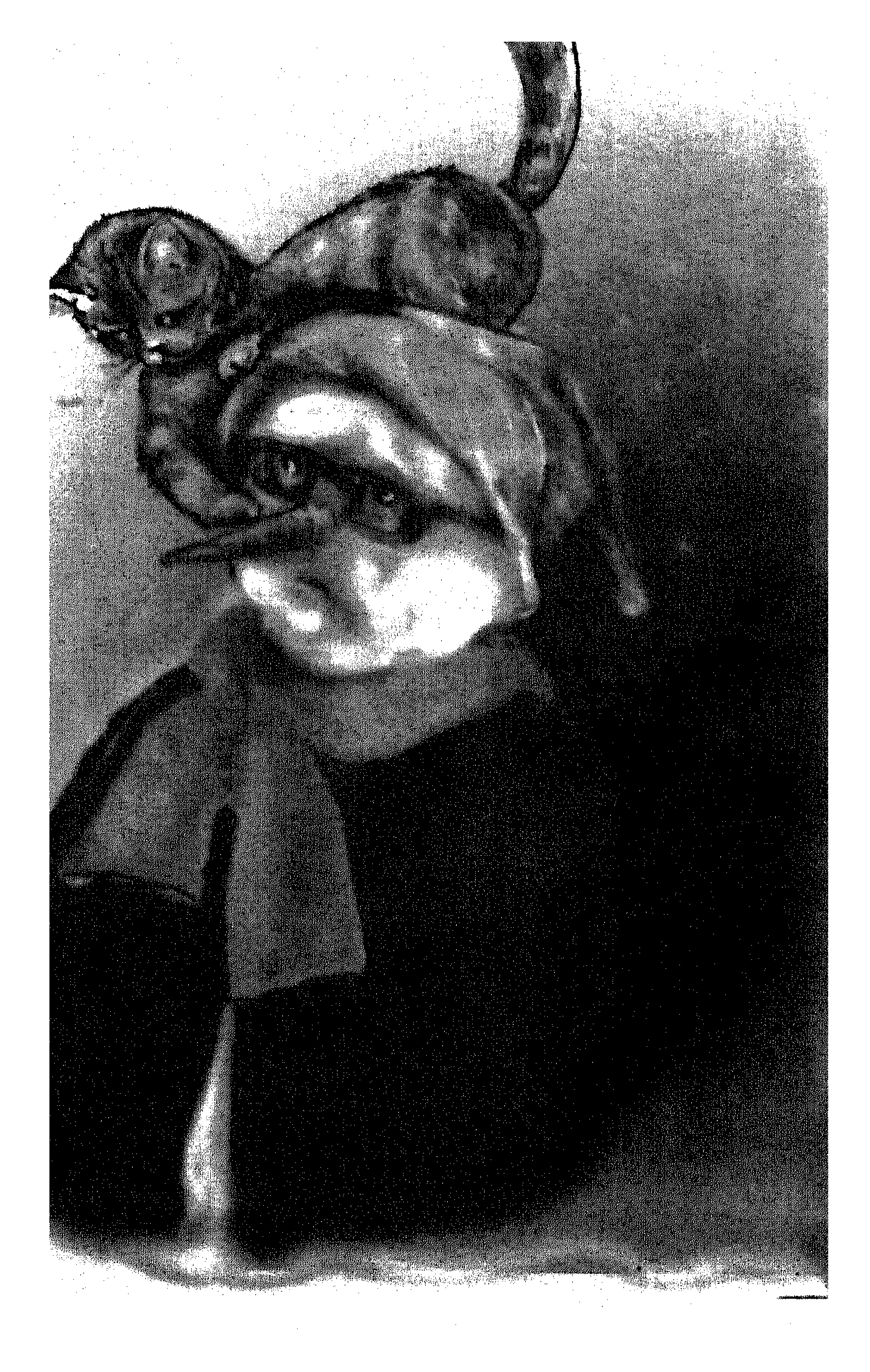
لم يكن هذا سوى «صارمان»، فقد كان مُنْدهشًا من حُبِّ كل الشِّلَّة لهذا الشىء الذى صَنَعُوه من الثلج، و«أليف» أيضًا نسب «صارمان» ولم يَكن ذلك شَيْئًا صَحِيحًا أو مقبولاً، كان « صارمان» يَنْظُر بغَضَبٍ وحقدٍ للرجل الثلجِى وكان علَيه أن يَنْتَظِر حتى المساء، ويُخَيِّم الظلام ويقُوم بما يُريد فِعْله دون أن يَراه أحد .

أُشْعِلَت المَصَابيح
النُّجوم أحْضَرت اللَّيل
الشَّمْس جعلتهم يتناسون الثلج
ورَكَض الأطْفَال إلى المنَازل

وتَركوا الحديقة بلا صوت وتدثَّرت الحديقة بالصَّمْت سَرِيعًا .

عندما بقى الرجل الثلجى وحيدًا ظل حَزِينًا ، فَعِنْدمَا وُلِد؛ كان مَوْلِده وسط الأغَانِى ، وكانت السَّعادة غَامِرَة، لكنها لم تطُل، ولم يَبْق صديق حتى يَستمع لَه .

لا بد أن «صارمان» قد أَدْرك هَذه الحَالة من الحُزْن. فَظَهَر من بعيد وبَدَأ يَمشَى بِلا صَوْت، وعِنْدمَا اقْتَرَب من الرجل الثلجِى حَمْلَقت عيناه، تَفَحَّصَه جَيدًا ووثب صاعدًا على كتفه، كان يُريد أن يُسعِده، وأن يُفهِمه أنه ليس وحده فلمس أنْفه بمخلبه، ولكن



عِنْدَمَا حاول أن يَلْمَسه ثانية، فى هذه المرة سَقَطَت الجَزَرَة بسرعة على الأرض محدثة صوتًا.

- يوووووووووه!

بَحَث عن مصْدر الصَّوت، وعندَمَا استَدار ونَظَر حَوْله وَجَد الجَزَرَة، فأَخَذها فى فَمِه وتَسَلَّق على ظَهر الرجل الثَّلجى وحينَما كان يُحاول أن يُرَكِّب له أَنْفَه الذى هو عِبارة عن الجزرة سَقَطَت النظَّارة هذه المرة ثم سَقَطت عَيْنُه اليُمنى، التى هى عِبارة عن حَبَّة الزَّيْتون.

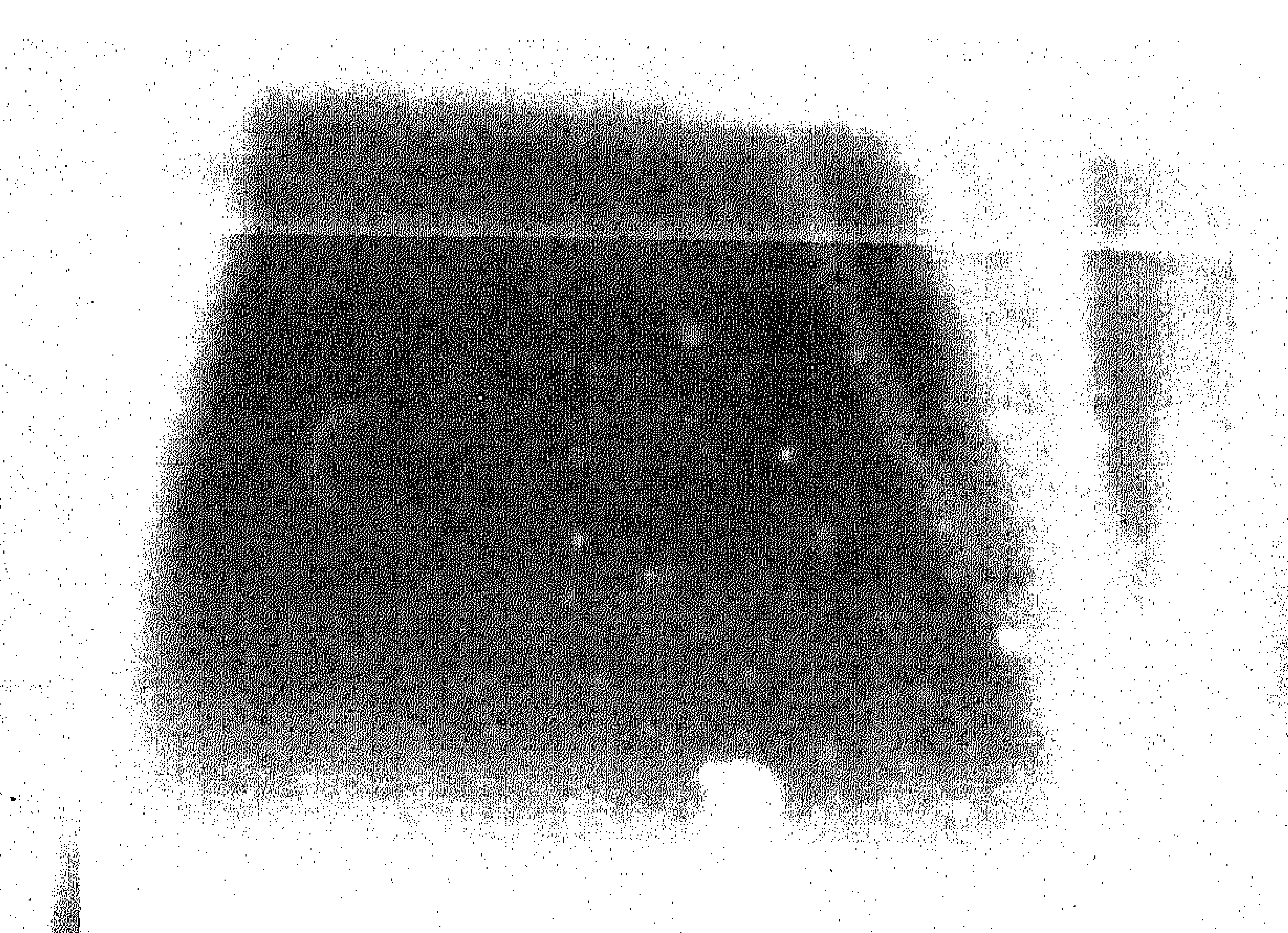
- يوووووووووه! يوووووووووه!

فارتجف «صارمان» وقَفَز إلى الأرض، وكَمِنَ فى مكانِه الذى يقف فيه فلم يَسْمَع صَوْتًا آخر، ثم أَخَذَ حَبَّة الزَّيْتون فِى فَمِه، ووَثب مَرَّة أُخْرى على كَتِف الرَّجل الثلجى، حَاوَل واجْتهد ، وعلى أية حال لم يَنجح فى وَضْع حَبَّة الزيتون فى مَكَانها، تَدَحْرَج كَلْبُوشُه الأحمر على الأرض عنْدما ظَل الرجُل الثلجى بِعيْن واحِدة فَإذا به صُورة مُتَجَهِّمَة مَلِيئَة بالفَزَع، هذه الكُوميديا لم تُسْعد «صارمان» ولكَى تُلْبِسَه النَّظَّارة قَامت بمُحاوَلَة أَخِيرَة. وعندما كانت تحاول أن تَمُد مَخْلَبها فإذا بصَفْعة على قفاهَا انْطَلقت وهى تموء «مياوووو مياوووو». فَسَقَطت على قَدَمَيْها، وعُمُومًا كل القِطَط تَقَع على أقدامِهَا فَكَانَت تَلْهَث وتَرْتَعِش من برودة الأَرْض ، نَظَرَت من بَعيد على الرجل الثَّلجِى فَوَجَدت ذِراعه اليُمْنَى أصْبَحَت منتصبة أمَامَه



بَعْـد الصَّـفْعَة، فَرَكَضَت حتَّى وقَفَـت أمام الرجـل الثَّلجـى، وبدَأت تَحْفر الثَّلج بِقَدَميها وحَاوَلَت لفترة ، ثم سَمِعَت صَوْت ....ه.........ر ....ة...... : لقد شَعْر «صارمان» بالبَرْد والجُوع والتَّعَب وفَوْق ذلك يَرْتَعِش ، ولكِن كُلُّ هَذَا لا يُهِم، فَقَدْ أشْرَق وَجْهُها عندما رأت قَامَة الرجل الثَّلجى تَهْوى إلى الأَرْض. فَصَعَد فَوْقَه فنهض وَوَقَفَ على أقْدَامها كالأَبْطال المُنْتَصِرِين، وحَيَّت النُّجَوم، وفِى تِلك الأَثْنَاء تمامًا ، سَمِعَت صَوتًا يَقُول : «سووووز، سوووز» لقد كان الرجل الثَّلجى يَبْكى، ولم يَكَد «صارمان» يُصَدِّق ذلك وكاد يَفْقِد عَقْلَه فَركض إلى البيْت، وعِنْدما سَمِعَت «أليف» صوته، أَخَذته فى حُضْنِها وَرَكَضَت إلى «البَانيو» وَوَضَعَتْهَ فى الماء السَّاخِن، وأخَذَت تُنَظِّف شَعْرَه وأَلْبَسَتْهَ صَدْرِيَّتَهَا ثم أسقته لبَنًا دافئًا فَأَغْمضَ «صارمان» عينيه، ونَامَ على فِرَاشها ثم ذهب كُل فَرْد إلى غُرْفتِه وَنام.

وعندما اسْتَدْفَأت الغُرْفَة بالمدْفَأة تَجَمَّع بُخَار الماء على زُجَاج النافذِه.. كان الثَّلج يَتَساقَط بالخَارج والصمت يسود، كانت هُنَاك طَرْقة عَلَى الزُّجَاج ولكن لَم يَسْمَعْه أحد ثمَّ طرقة أُخْرى، فَرَفَعَ «صَارمان» رأسهَ من على مِخْلَبَيْهَ الأمَاميين، أَصْغَ بأذنيه، نَظَر إلى أَعْلى ، ولكنه لم ير شيئًا ومع الطَّقْطَقة للمرة الثالثة قَفز إلى المقعد. لقد كان أمَام النافِذَه رَجُل ضَخْمٌ من الثلج، كاد «صارمان» يُجَن فَمَسَحَ بقَدَمَيْه الأماميتين بُخَار الماء من على




زُجَاج النَّافِذَة ودَقَّقَ النَّظَر إلى الخارج، فَلَم يكن هناك سوى رَجُل الثَّلج الذى يَبْكى ويَقول : سوووز سوووز.

فَلَم يكد يُصَدق نَفْسه وكان عَلَيْه من جَديد أن يَفْعل شيئًا. كان رَجُل الثلج يُعانى من البَرْد، وعلى أية حال كان «صارمان» يُدْرِك أنه رجل من الثلج ولو أَخَذَه إلى الدَّاخل فَلَن يَصدقه أحد فقالت : لا تُؤاخذنى فَلَو أخذتك إلى الداخل فسأكون قد ارتكبت خطأ، انظر ! هل تَرَى تلك المدْفَئَة؟ فإن النار هى أكبر عدو لرجل الثلج أمثالك، فَسَوف تُذيبُك بِسُرْعَة، ولو أَخَذْتك إلى البانيو فسوف يطردونى من المنزل قائلين: إن «صارمان» قد فَقَدَ عَقْلَه. فبكى رجل الثَّلج وكل حَبَّة ثلج كانت تَسْقُط من عَيْنَيه كانت تَتَحَول لِزَهْرَة شَديدَة البياض وتَطير بسُرعَة ثم تُصبح ثلجًا مَرَّة أُخْرى ، وتعود إلى السَّماء، أما القطَّة الغَيُورة فقد لان قلبها وفرحت كثيرًا، وهذا معناه أنها قد نَسيَت كل ما فَعَلَت وفَكَّرت فى نَفْسها قائلة : علينا قبل أن يمضى الشِّتاء أن نُمطر ثَلْجًا وَنَتَحَوَّل إلى السَّماء.

- أستودعك الله يا قطتى الصَّغيرة...

وكان هَذا آخر صوت إليها ..

وبدأ رَجُل الثَّلج يَبْتعد عن النَّافذة ولم يره أحد مرة آخرى، أما «صارمان» فَلم يُغَادر النَّافذة طوال تلك الليلة وبَكَى وبَكَى، ولماذا لا يبْكى ؟ فَقَد كان «صارمان» ذا قلب رقيق ورحيم جدًا، فقد أَصْبَحَ رَقيقَ القَلْب وقَلْبه كَقلْب الرَّجل الثَّلجى.

السِّنْجَاب صَدِيق طُفُولَتِى



قَارِبٌ مَرْسُومٌ عَلَيْه صُورَةُ الشَّمْسِ

فى أَيَّام طُفُولَتِى كانت السَّحَابات المُتطَايرة إحدَاها زَرْقَاء وثَانية بَيْضَاء وثالثَة خَضْرَاء وصَفْرَاء.. وربما كَانت فى السَّماء مئات السُّفن المختلفة التى تَسْبَح، والشمس كانت تَلْعَب مع السُّفن البَيْضاء لعبَة الاسْتغماية، وكانت تتبَادل مع السُّفن الزرْقاء الأركان والزوايا، كان شهر تموز (يوليو) أكثر شهور السَّنَة حَرَارَة وأكْثَرها مَطَرًا، الأمْطَار كانت تَهْطل فى أيام شهر يوليو كانَت رائِحة أمْطَار الصَّيْف جَمِيلة.

قَطَرَاتها رَقِيقَة.

النَّسيم لَطِيف مُداعِبٌ.

أصْواتها كانت كأغانى الحَصَاد.

أَكْثَر ما كُنْت أُحِبُّه هى أَمْطَار الصَّيْف.

والنُّهَير الصَّغِير الذى كان يَتَدَفق أمام منْزلنا.

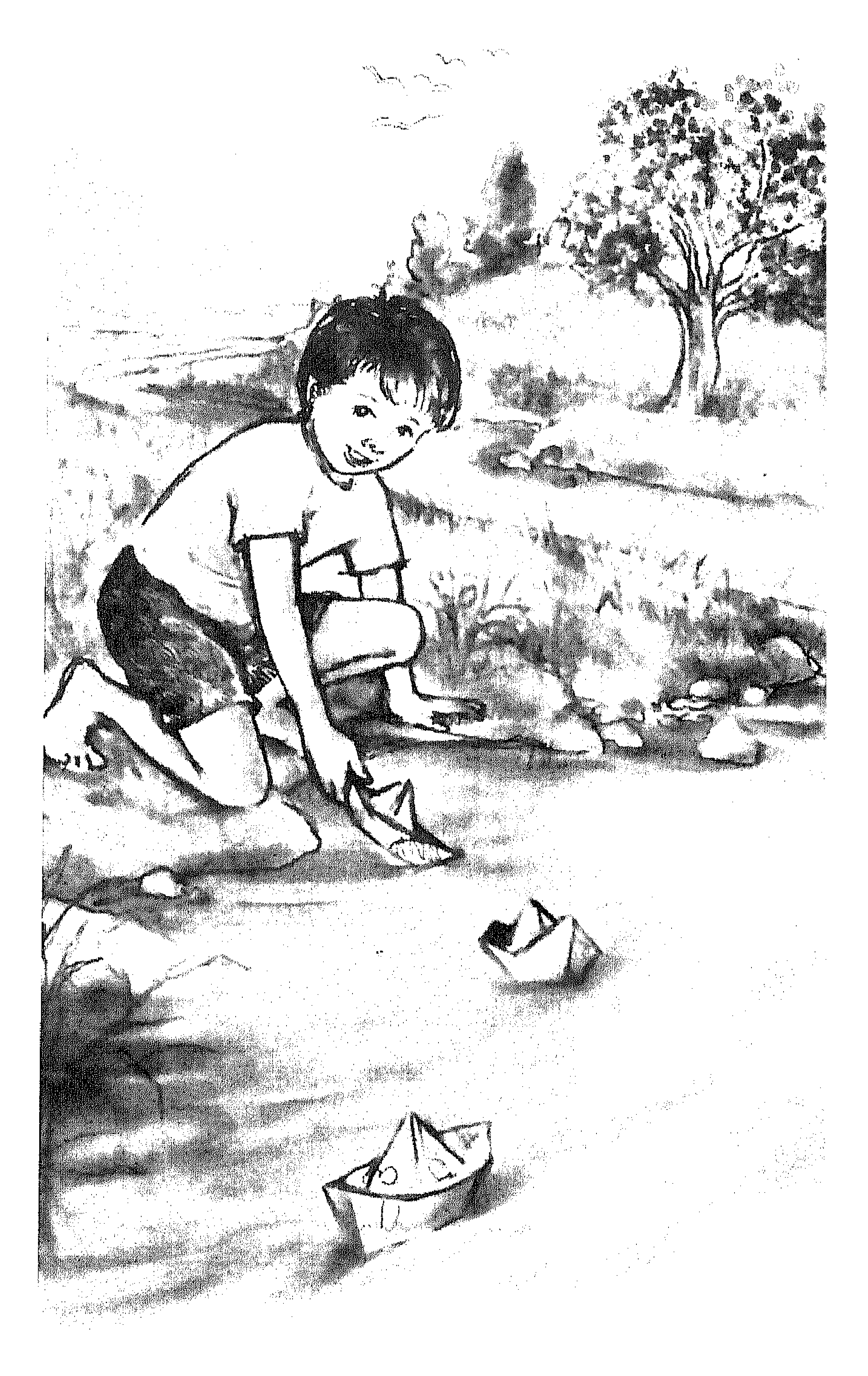
كانت مياهه لا تقل صَيْفًا ولا شتاءً. وكان خلجانه مُبَارَكًا، وكان يُحادثنى رويدًا رويدًا.

وكَان يقُص علَىَّ حكَايات «المصال» التى أحضرَها معه من بعيد، وكَانت الشَّمْس فى وقت الظهر تمامًا تَسْبَحُ فَوْق نهرنا. فى تلك الأثناء كان نَهْرُنا يَتَدَفَّق بالفضَّة بدلاً من المياه وكانت تَلْمَع كالمرآة.. أنا أيضًا كُنت أَذْهَب إلى النهر فى وقت الظُّهر، وأصْنَع القَوارب من وَرَق دَفْتر الرَّسْم الخاص بى، قَوارِب وَرَقِية صَغِيرة ولكن جَمِيلة.

كانت الصُّورة المَرْسومَة على أوَّل قَارب صُورة زَهْرَة زَرْقَاء جدًا فى السَّماء وأسفل منها أشْجَار حَمْراء، والقسْم الأعلى من الصَّفْحَة قد استقرت الشَّمْس. الصورة المرسومة علَى القارب الثَّانى كانت صُورة دِيك لون عُرْفه أحْمَر كَزهر الرُّمان.

كانت الدَّجاجات أكبر من الدِّيكة والبيضات كبيرة ملونة بمختلف الألوان، الصُّورة المَوْجودة على القارب الثالث: صُورة سُلَحْفاة ضَخْمَة موجود على ظهرها جزيرَة وفى وَسَط تِلك الجَزِيرَة بُحَيْرة وطفل يصطاد السَّمك.. آآآآآه كم يُشْبِهنى ذلك الطِّفل! فى دفترى تُوجَد صُور عَصَافير كَثِيرة لا تُعَد وتَبْدُو جَمِيعًا وكأنها ستطير.

فصحت مناديًا : طِيرى أيتها العَصَافِير. فجميعها لم تَطِر أو تحلق، وسط صفحات دفترى يوجد عُصْفور واحد كان يَبْكى، لقد



كان وَحيدًا مَنْسِيًا . عَنْدما جَاء الدَّوْر عليه لكى يَطِير حلق بسرعة وهو يصيح:

برررررررر.

قَلَّبت الصَّفحات بسُرْعة:

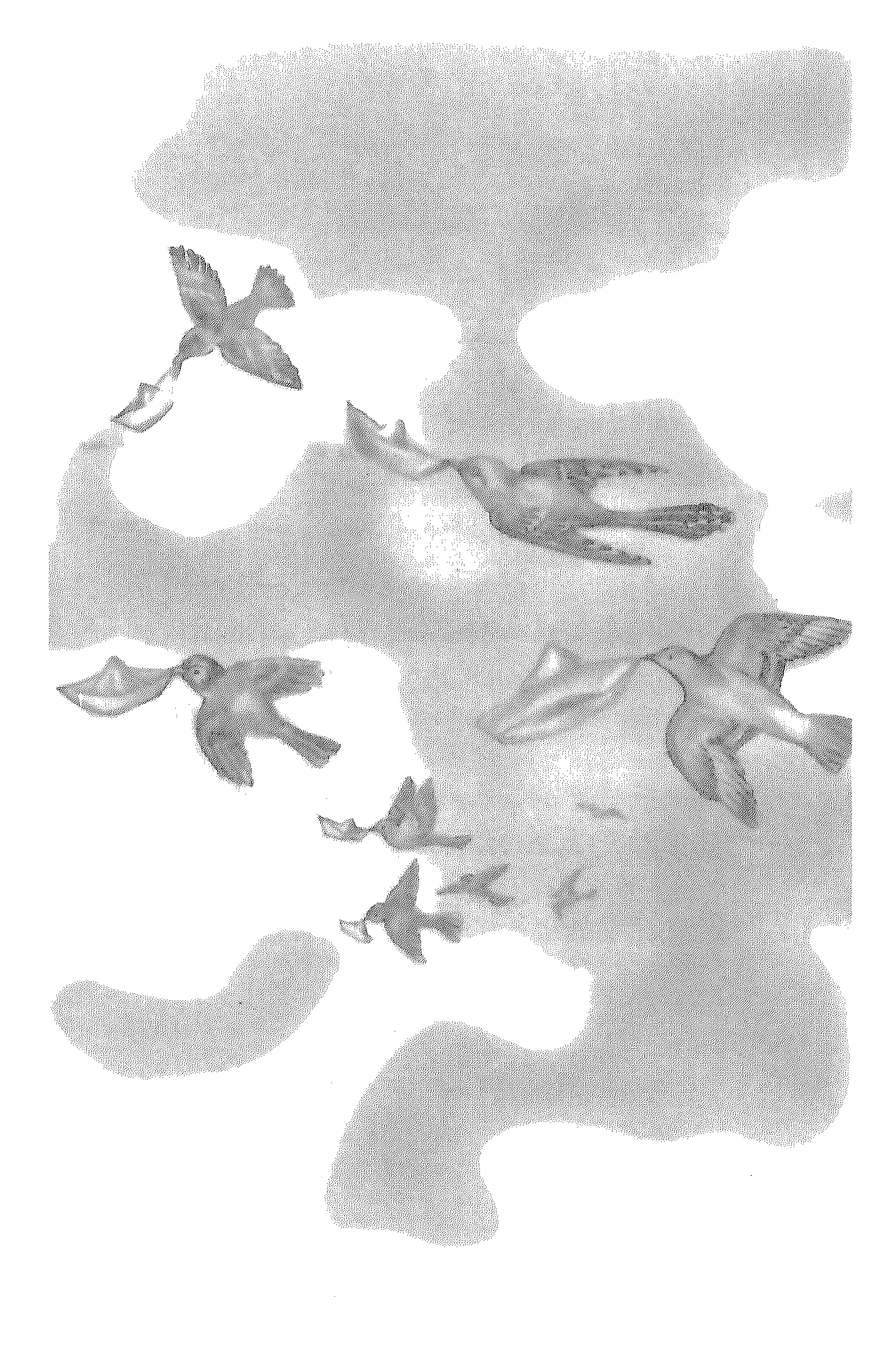
البحر..... الأسْماك التى تَتَطَايَر على وَجْه البحر.. رَجُلٌ من الثَّلج للأطفال.... وطفْلَة الكبريت تنظر أيضًا إلى رجل الثلج.

فى آخر صَفْحة قَوارب صَغيرة جدًا جدًا .

فاتخذت قرارًا سريعًا -أَلَيْس هَذَا زَمن الطُّفُولة؟- وهو أن أحَوِّل كل صَفَحات دَفْتَرى إلى قَوارب؛ فأصْبَح عِنْدى أَرْبَعة وعشرون قاربًا فى مُقَدِّمَتِهم قارب عليه رَسْمَة الشَّمْس وكان يَتسابق مع القَوَارب على طُوال ضَفَّة النهر، وكانت تسمع أَصْوات تَصفيق الزُّهور على جَانِبى النَّهر، والأسماك كانت ستختفى فى بيُوتِها.

وبينما تَركت القوارب المُلوَّنة فى النَّهر، لم أكن أعْلَم أن الغُيُوم المُحَمَّلة بالأمطار تتجه نحو قَرْيتنا، وكانت سَحَابة بيضاء ضَخْمة كالفِيل تطير وتَقْتَرب منا بسُرْعة فَحَجَبَت عنَّا الضَّوْء، فى الأمَام قاربى ذو رَسْمة الشمس وخَلْفَه باقى قَواربى المُلوَّنَة الأُخْرَى، وكانت تعوم بأشرعتها وهكذا بَدأ أسْعدُ يَوْم من أيام النهر.وكُنْتُ أصيح عَليهم مناديًا: هيا يامَراكِبَ «بربروس»(*) مِمَّن سَمِعْتُ عن

(*) خير الدين بربروس هو قائد الأسطول العثمانى الذى حوّل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة إسلامية فى العصر العثمانى.



اسم أحد بَحَّارينا الكبار، قَبْل أن أصبح فى الصف الرابع الابتدائى بعد، وقبل أن أقْرأ أى كِتاب من كُتب التاريخ بعد .

لكن لم يَسْمع أحد صَوْتى، فقد كان أسْطولى الصَّغير يتجه نحو الميناء وكانَت العَصَافِير تُتَابِعهم باهْتِمام وتنْتَقل من غُصن إلى آخر؛ هووووووب!

أحد العَصَافير خَط بسُرْعة على أحد قَواربى المُلَوَّنَة، وبسرعة تقاسَمت العصَافِير قَواربى وهى تُغَرِّد، وتُرَدِّد لكل عُصْفُور قارب، فَشعرْت فى داخِلى أن هذا اليوم «هو يَوْم عِيد العَصافِير».

السماء كانت أحيانًا تبكى من السعادة .

فَخِفْتُ أن تُغْرق أسْطُولى، فَصِحْت عِدَّة مرات على العَصافِير: هَيا اجْعَلوا مرَاكِبى تطير هَيَّا طِيِّروا مَراكِبى.

آمان يا ربى... رُؤيا هَذه أم حُلم أم حَقِيقة؟

حينما كانت العَصافير تَطيِّر مراكبى فى الهواء، كِدت أبْكِى من السعادة، لقد كُنْت القبْطَان الذى أنقذ الأُسْطُول، ولم يَبْق سوى أن تُحْكى قِصَّتِى هكذا فى كل كُتُب التَّاريخ.



السِّنْجَاب صَدِيق طُفُولَتِى

بَيْنَما كُنْت فى العَاشِرة كُنت أَتَخَيَّل أننى رسام .

حتى إنى كُنْت أرى فى أَحْلامى أننى أَرْسُم .

كان عَالَمِى كالرَّسْم .

فى كل رَسْم كنت أرسم عصْفورًا . كانت العَصَافير أكْثر من وَرق أشْجَارى .

كانت طُيُور النَّوْرَس تتطاير بين القَوَارب، كانت تَعيش فى غَابَتِى الزَّرْقَاء الثَّعالبُ الضَّاحِكة والأرانب المُهَرِّجة والزَّرَافات التى تُطلِق الصَّفِير.

فى يُوم حَار من أَيَّام شَهْر أغُسْطُس.

كانت تَهبُّ رِياح دافِئة، كنت قد انبطَحْت على ظَهرى تحت شجرة الجوز التى فى حديقتنا ، كنت أنظُر إلى الشَّمس من بَيْن



أَفْرُع الشَّجر.

عندما كانت تَحُط العَصافِير على أغْصَان الشجر، كانت الأشْجَارلا تُرى من كَثْرَة العَصافِير.

وكأنما السَّماء قد تَضَاءَلت .

نمت .

أغمضت عينى.

بعد بضْع دَقَائق اسْتَيْقَظت على ضَوْضَاء أصْوات مِئات الغِرْبَان.

كُنْت أسْمَع صَوْتًا آخر لم أسْمَع مِثْلَه من قَبْل يقول:

وِيِيتش! وِيِيتش ! وِيِيتش!

الصَّوْت كان يَأتى من ناحِيَة الأشْجَار.

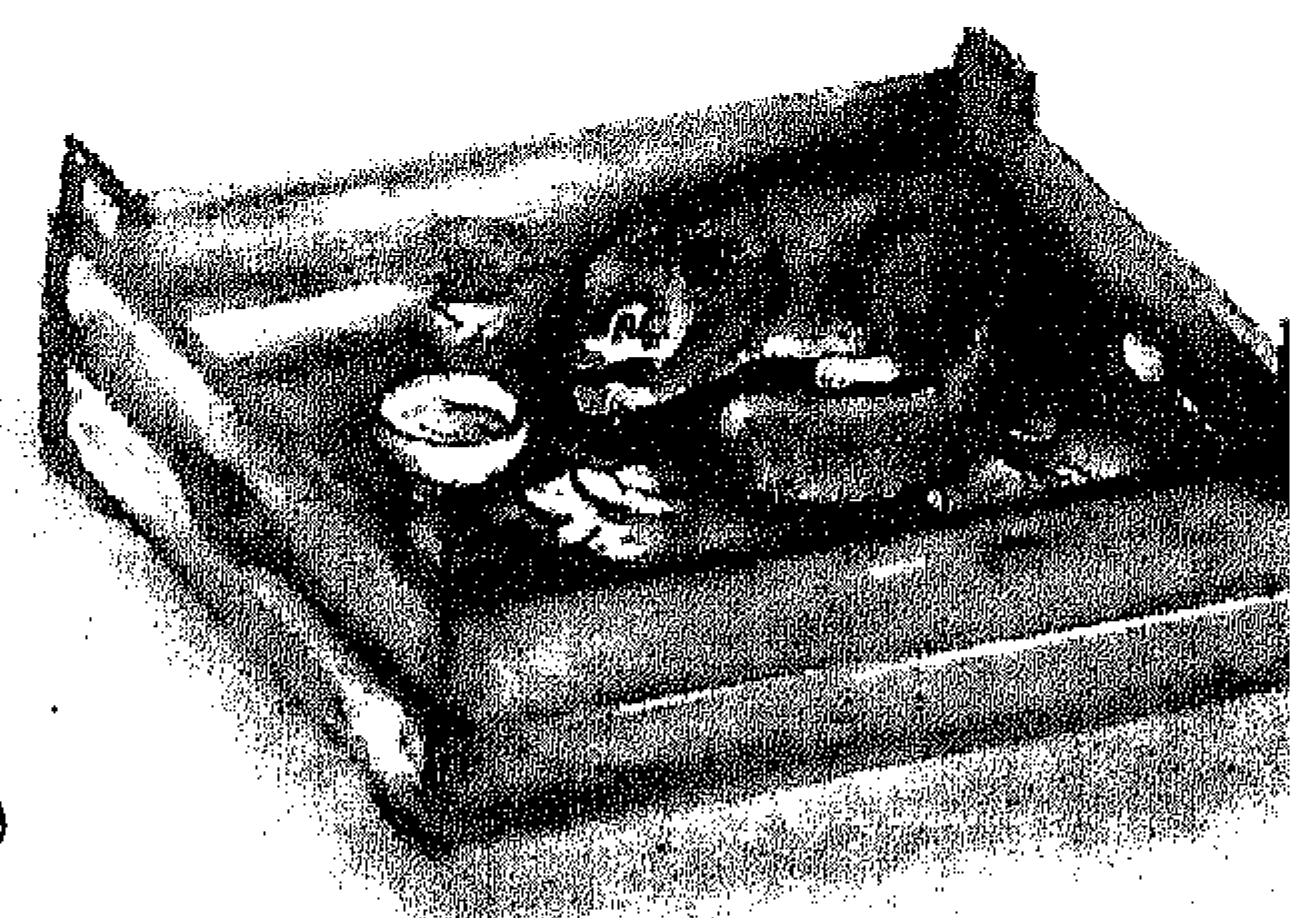
فَنَهضت على قَدمى واقفًا .

كان هُناك سِنْجاب يُحاول أن يَحْمِى نَفْسه بالقَفْز من غُصْن إلى آخر. كُنْت أعْلم أن الأمْر لم يَكُن سَهْلاً لو أردت أن أُنْقِذَه ، فَالغِرْبان كانت تُحاصِر الشَّجَرة من كل جانب، لِدَرَجَة أنه لم يبق غصن لكى يَحُط عَلَيه أى غُرَاب. السِّنْجاب الجَرِيح كان يَبْحَث عَن مَهرب لكنه لم يَجد مكانًا للهربِ، فقد تَجَمَّعت كل غِرْبان القَرْيَة، وتَهافَتُوا على الشَّجَرَة، فَصِحْت على السِّنْجَاب، وقلت:

- هيَّا لآخذك إلى مَنْزِلى!

لكن السِّنْجاب لم يَسْمَع صَوْتى وكُنْت أسْمَع أصوات: وِيِيتش ... وِيِيتش التى يُخْرِجُها، حينما كان يَنْزِل من غُصْن إلى غُصْن

انْزَلَقت قَدَمه الأماميَّة، وسَقَط، كانت الغربان تُهاجم السِّنْجَاب فخَلَعت قَميصى وسِرت مُباشرةً ناحية الغربان وأخذت ألوِّح به عَليها ، وبالفعل نَجَحت فى أن أُخلِّص السِّنْجاب وآخذه إلى حُضْنِى. السِّنْجاب الصَّغير لم يكن قد مات، فأخذته وركَضت مُباشرة إلى المَنْزل، وكانت الغِرْبان خلفى تتبعُنِى وهم يَنْعقُون ، وقد جُرح ظَهْرى وذِراعى.



- ابْتَعد يا مصطفى من هناك!

كان هذا صَوْت أُمِّى، كانت تَجْمَع الشَّاى من الحَديقَة المَوْجُودَة أَمام المَنْزل. كُنت أَحْمى عَيْنِيَّ بإحدى يَدَى، وعندما رأتنى أمى ركَضَتْ بسرعة ناحيتى وهى تُمْسِك فى يَدِها فَرْعًا طَوِيلاً. تَجَمَّعَت الغِرْبان فى مَجْموعَتين وكانوا يُهَاجموننا حتى عندما نَفْتَح البَاب كُنَا نَرْكُض بِسُرْعة إلى داخِل المَنْزل، وقُلْتُ لأمى:

- انْظُرى! لقد أَنْقَذت سِنْجَابًا.

فسعدت أمى كثيرًا، وداعَبَت السِّنْجَاب وأَخفَيت السِّنجاب فى الصَّنْدوق الموجود فى السَّنْدَرَة. وَضَعْتُ له فى الصَّنْدوق بذورَ القَرْعِ وإناءً به ماء. انْتَظَرْتُ ساعات بجوار سِنْجابى الجَرِيح ،وكانت الدِّماء قد خَضبت فِرَاءه، كان يقِفُ دون أَيَّة حَرَكة، وفى لَحْظَة

حينما كان يَفْتَح عَيْنَيه ، جاءت عَيْنه فى عَيْنى فقلت:

- لا تَحْزَن يا سِنْجَابى الصَّغِير ، سَوف أظل بِجَانبك حتى تَتَحَسَّن فَغَمَز بِعَيْنِه وَهَز ذَيْله، قَضَى سنجابى الجَرِيح ليلَته على السَّطْح.

فى الصباح رَفَع رَأسه عندما أَزَحْتُ غِطاء الصُّنْدوق فَغَيَّرْت له المَاء، وَضَعْت أمامه البندق المقَشَّر وحينما كنت أقَشِّر له البندق كان يَهز ذَيْله بلا تَوَقف، لقد شَعَر بالجُوع كَثِيرًا وكنت آمل أن يتحسن .

وفى غُضُون بِضْعَة أَيَّام أَصْبَحْنا أَصْدِقاء. ولم أكن أَتْرُكَه بمفرده قط وقَضَينا أَيَّامَنا فى المَنْزِل دون أن أَشْعُر بالملل. حتى لو أَرَدت أن أَلْعَب أو أَخْرُج من المَنْزل، كنت لا أفعل ذلك .

لكن بَعد خَمْسَة أيَّام اتخذت قرارًا بأن أُخْرِج سِنْجَابى إلى الخارِج ورَبَطْتُه بشريط أَحْمَر طويل فِى رَقَبَتِه حتى لا يَذْهب أو يَهْرب. عِنْدَما خَرَج إلى الخارج كان كامِنًا فى البداية. فقُلْت له : هيًّا، انهض، عَلَيْنَا أن نَلْعب فى الحَدِيقَة.

فبدأ يَرْكُض ويَقْفِز طُوال الطَّرِيق، وكانت قَفْزَته تَبْلغ طُولى، لقد اكْتَسَبْتُ ثِقَتَهُ. فَأصْبَح لا يَخَاف مِنِّى، لقد تَعَوَّدْنَا على بَعْضِنا لدرجة أنه كان يَأكل البُنْدق من رَاحَة يدى .

فكرت فى أن أَرْسُمَ سِنْجَابى ذا الذَّيْل الأَحْمَر، فَأَخَذْت قطْعَة فَحْم خَشبى من المدفأة، كانت لَوْحَتى هى الحائِط الأَبْيَض المَوْجُود



أسْفل البَلكُونة.

ومَا إن أتْمَمْتُ رسْمَه بِخَط وَاحِد حتى قَفَزَ على كَتفِي. وَقَدْ فَتَح عَينيه عن آخرهما وأخَذ ينظر باهتمام إلى الصُّورَة التى أرسمها دون أن يتحرك، فداعبت ذَيْلَه، وأنْزَلْتُه من حُضْنِى لأُكْمل الرَّسْم بالفَحْم، ولمَّا كُنْت على وشك تمامه صَاح علىَّ بِصَوْت غَرِيب: فييتش! فييتش! فييتش! فَظَنَنْتُ أن سِنْجَابِى يَبْكى، فابْتَعَد تدريجيًا على مهل ثمَّ بدأ يَرْكُض، فَركَضت خَلْفَه، أَرَدْتُ أن أُمْسك به، لكننى فقَدت أثرَه.

فظللت أيامًا أراقب الطريق مُنْتَظِرًا ، وكنْتُ أصيح بأصْوات : فييتش! فييتش! فييتش! حتَّى إنَّنى كنت قد تَعَلَّمت كيف أن الإنسان لن يُمْكنه إخراج صَوْت الحيوانات بالضبط . كنتُ أتَمنى أن يَعُود سِنْجابى، ولكن انْتَظَارِى كان بلا جَدْوَى.

بعد أيام لا أَعْلم كم هى بالضَبط... أردت أن أذهب وأنْظر إلى الرَّسْمَة التى رَسَمْتها على الحائط لقد كانَت الرَّسْمَة المَوْجُودَة على الجِدار الأبيض تُشبه فَأرًا أسود ذا ذَيْل طَوِيل.

فَعَرِفت أن هذا هو سَبَب هروب سِنْجَابِى، وأننى لن أسْتَطِيع أن أكُونَ رَسَّامًا ماهِرًا مَهْما طَاَل الوقت.



أَيادِى المَطَر

فى هذا اليَوم - أيضًا - الطِّفْل الذى بداخلى قال: أعطنى يدك.

خَرَجْنَا للرِّحْلة نحو أيام طُفُولتنا ونحن نُمْسك أَيدِى بَعْضنا بأَيْدى البَعْض،.

تَجَمَّعْنَا تَحْت شجرة الجُوز المَوْجُودَة فى وَسَط قَرِيَتنا.

حِينما كُنَّا أطْفَالاً كنا نُحِب أن نَتَبَلَّل تحت أَمْطَار الصيف الرَّقِيقَة.

فكانت السَّعادة تَغْمرنا عندما تُمْطر الأَمْطار. وكان أَكْثَر ما نُحِبُّه هو أن نُشَاهِد هُطُول الأَمْطَار، ولم نكن نَغْضَب من غَرَق الأَمَاكِن التى نَلْعَب فيها بالماء.

كانت كل ألعَابنَا من الطِّين، سَيَّاراتنا وبيُوتنا وخُبْزنا، كنا نَصْنَعها كُلها من الطِّين، وكنا نَتْعَب كثيرًا من تَسَابقنا على الطُّرقِ، وكنا

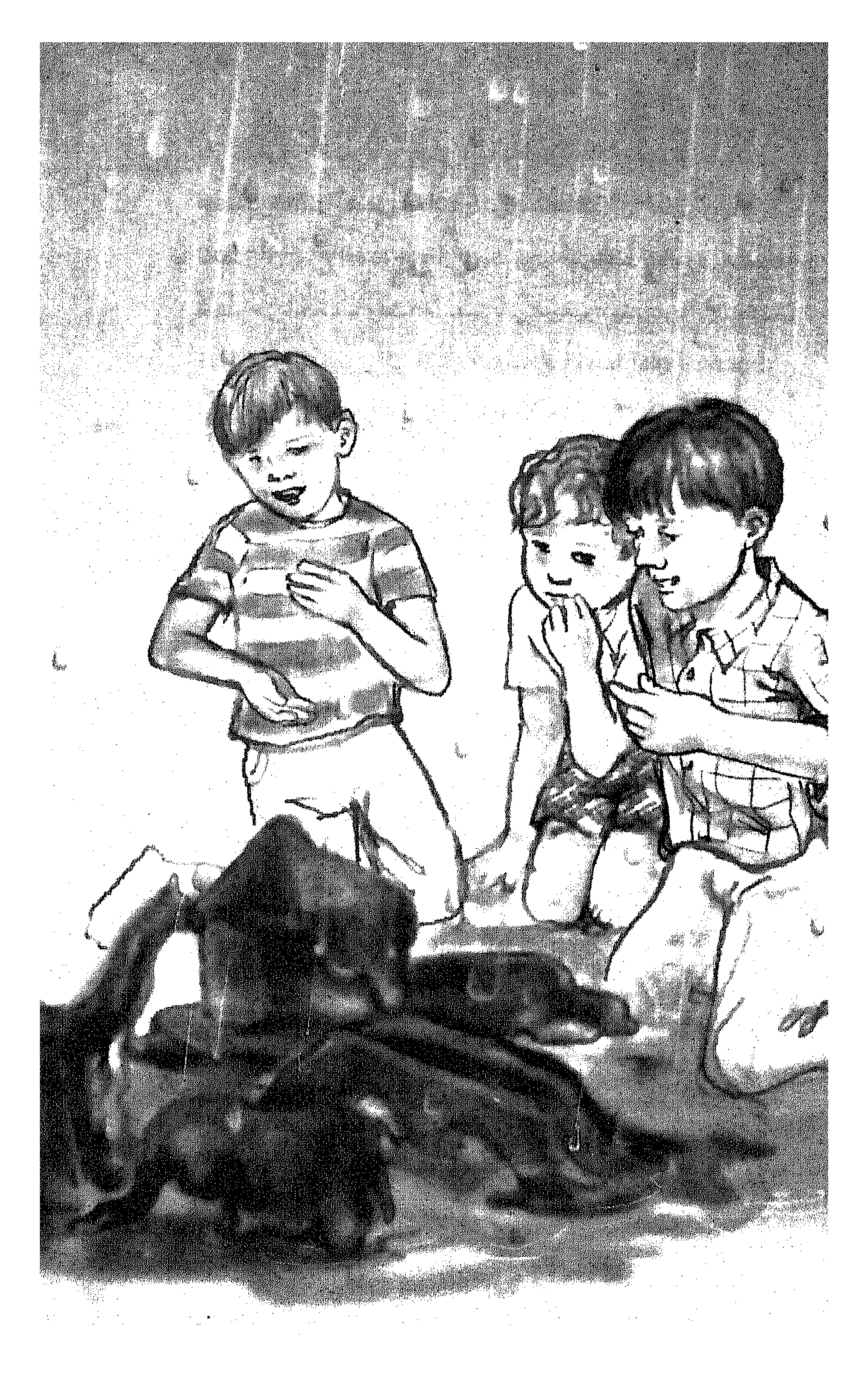
نُنَشِئُ القُرَى والقَصَبات والمدن على جَوانب الطُّرق لقد كانت الأمَاكن التى نلعب فيها بلا حُدود . وكان اعْتقَادنا بأن الدُّنْيا كلها هنا لم تأت من فراغ. وكان ثَلاثتنا لا نكُف ولا نَمَل عَمَل لُعْبَتِنَا التى نَلْعَب بها وإنْشَاء دُنْيَانا الخَاصَّة بنا . كنا لا نَمل ولا نَتعَب أو نَجُوع، قبل أن تهطل الأمطار كانت الدنيا مُغَطَّاة بِغِطاء من الضَّبَاب وحَتى العَصَافير كانت تَتَوقَّف عن الزَّقْزَقَة ويسمع صَوْت رَقْرَقَة النَّهْر من بَعِيد، حينما كانت السُّحُب تُغَطَّى بالغيوم كان المطر يبدأ خَفيفًا .. خَفيفًا . وكُنَا نُسَمِى هذا المَطَر بُوق العُقَاب، ولم تكن ألعابنا التى نَلْعبُها تحت المطر تُضَار من هذا المطر فقد كانت الأمطار تُمْطِر بِرِقَّة.

جَبَل الثَّلْج يَنَام

فَاهطِل ايها المَطَر الأكْتَع امْطِر.

كان هَذا هو أَكْثَر ما أُحِبُّه وهو اللَّحن الذى كنت أُلَّفْتُه بِنَفْسِى وحِينما نَقُوله جَمِيعًا وفى صوت واحد كان هذا هو الإطار الَّذى نجد فيه أَنْفُسنا، كنا نُريد أن نَحْتَضِن الأَمْطَار، فتتبلل ملابسنا ونَشْعُر بالبرد، نَتجوَّل تَحْتَ الضَّبَاب تتَشَابك أيادِينا لكننا لم نَستَطِع بأى وسيلة أن نُمْسك أيدى المطر.

كانت الشَّمْس تَسْطَع على أَلْعَابنا التى صَنَعْنَاهَا من الطِّين. أَرَدْنا أن نُخْفِى قُرْصَ الشَّمسِ بِراحات أياديِنا كُنَّا نُغَنِّى لها حتى لا تَهْرُب وتَخْتَفِى. عندما يحل المَساء كانت دُنْيَانا الكَبِيرة تَصير



صَغيرة، فَكُنَّا نُلَوِّح بأيادينا للقَمَر، وكنا نُصَدِّق أن النُّجُوم الصَّغيرة كانت تَحْمِى أَلْعَابنا التى صَنَعْناها من الطين وأيضًا كُنَّا نَنْتَظر أن يَبْزُغ الصَّباح بِفارِغ الصَّبْر، حَتَّى إننا كنا نرى الأمْطَار تُمْطر فى أحلامنا وقد انْقَسَمَت إلى فريقين، وبمُجَرَّد أن نَسْتَيْقظ كنا نَتَعَجَّل الوُصول إلى مَكَان أَلْعَابنا، كنا نَسْعَد كَثِيرًا عِنْدَمَا نَرَى رؤانا تُشْبِه المَكان الذى نَلْعَب فيه.

لا أَنْسَى أَبدًا اليوم الذى أَنْهَيْنَا فيه الدِّرَاسة فِى المدرسة الابتدائية، رَكَضْنَا بِسُرْعَة الرِّيح إلى مَنْزِلنا وفى أَيادِينَا شَهاداتنا نلوح بها.

فِى البدَاية أشعَلْنا الفرن الطِينى الخاص بنا وخَبَزْنَا فِيها الخُبْز. آآآآه إنه كان خُبْز الطُّفُولة، لقد كانت له رائِحة وطَعْمٌ جَميل. كل شىء كُنَّا نَصْنَعه بَأَيْدِينَا.

كُنَّا نُدَقِّق فى صِناعَة سَيَّاراتنا ونُزَينها بأزهار البَرارى. كُنَا نُشَكِّل الطِّين بَأَيْدِينا، وكانت رائحة الطين تلك هى أَكْثَر رَائِحة نُحِبُّها وإذا لم تَكن أَلْعَابنا التى صَنَعْنَاها جَميلة، كنا نعيدها إلى الأرض ونَعْجِنُها مرة أُخرَى، كُنَّا أَطْفَالا ولكننا كنا نفهم لُغَة الطِين.. كُنَّا نَعِيش ونَشْعر بداخلنا أن الأرْضَ هى رَبيع الأطْفَال، لقد كُنَّا أَطْفَالاً مُخْتَلفِين من حيث ارْتباطُنا الرُّوحِى بالأرض، وكانت على طريق ألعابنا كبارٍ، وكل كُوبْرى مَحْمُول على ظَهْر فيل، وطُوال

الطَّريق تَرى قطعان الماعِز والخِرَاف والغَنَم والبَقَر والخَيْل والحَمِير مُتَراصَّة. كان هُنَاك أَسَدٌ أمام مَنازِلنا وفى مُواجَهه الأسد قِطَّة وديك، لماذا؟ لأن الأسد كان يخاف من الديك والقطة.

لقد كانت إشاراتنا غَرِيبَة وغير مَفْهُومة كنا نُعَلِّق على قمَّة العِصِى بسُرْعَة الغِرْبان التى لوَّنها بالفَحْم، والكِلاب والجِمال والزرافات الصَّغِيرة.

لقد كان كل شىء جاهز لاسْتِقْبال الصَّيْف، وبعد أن قُمْنَا بالعَدِّ: واحد.. اثنان.. ثلاثة ، بدأنا نَتَسابق بإطلاق أَصْوات كأصْوات الطيور التى سَمعناها.

على طَرَف يقف «ذهنى» وعلى طرف يقف «ضياء» وأنا فى الوسط .

كانت السَّماء عِبارة عن حَدِيقة زَرْقاء.

المَرَاعى كانت كالبِساط .

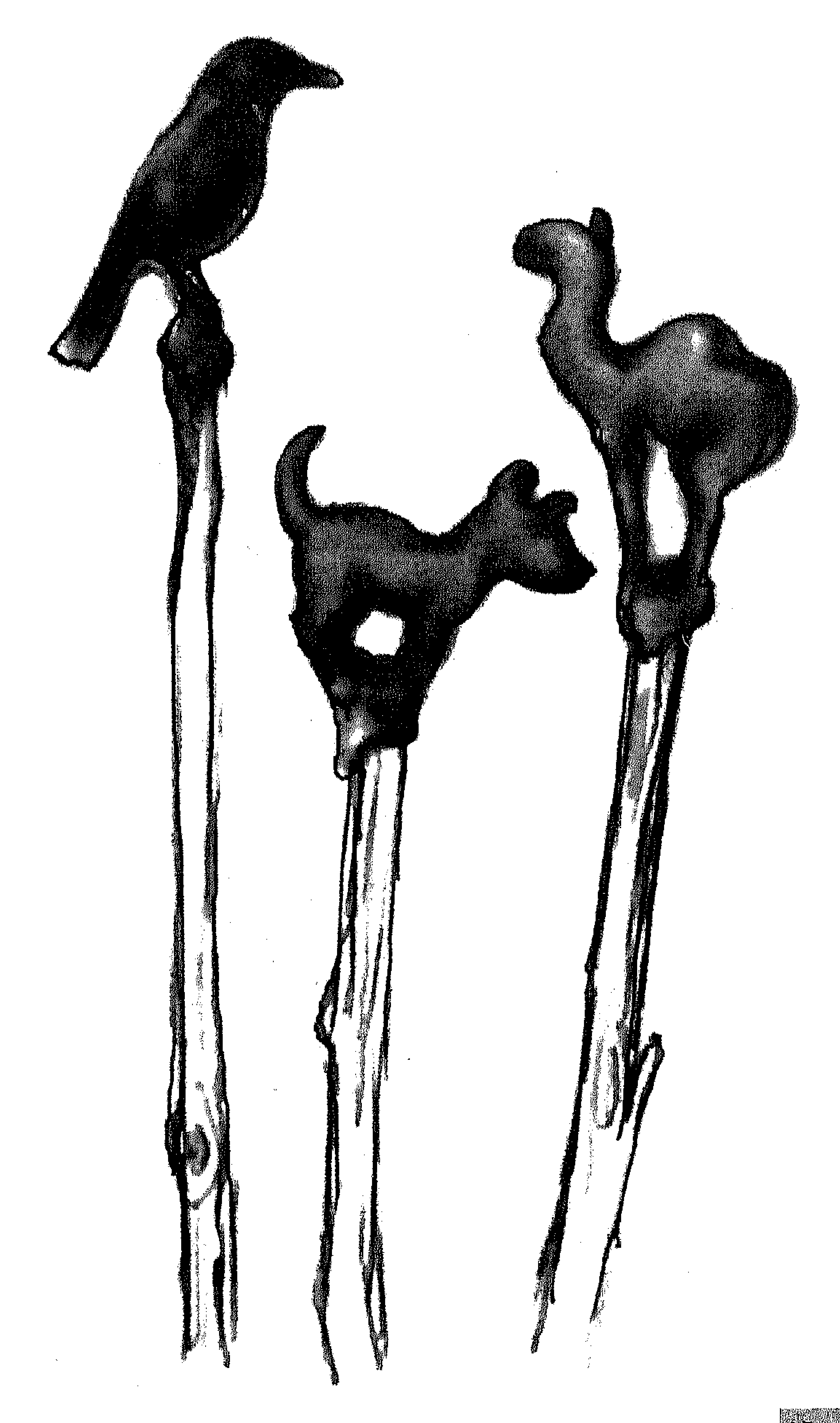
كانت الغَابَات مُمْتَلِئَة بشَقْشَقَة العصافير.

النَّهْر يَسِيل بانْسِيابيَّة رقْراقَة .

الطَّرِيق يَمْتَد أمامنا.

عندما فَتَح ضياء حَوْض الماء بدأ النهر ينساب بسرعة من تحت الكبارى اللعبة .

تُرى مَنْ الذى كان يُصَفِّق لنا؟ لم نكن نَعْلَم ولم يكن هناك أحد يبدو لنا .



لقد طال اليوم.

تَزَايدَت سَعَادَتنا .

لقَد طَال اليوم .

كَبرنا مثل العَصافِير.

لقد طَال اليوم .

حَتَّى تعبنا وتعبت أيضًا أَلْعَابُنا .

لقد اختلط صَوْتُ التَّصْفِيق بأصْوات أَمْطار الصَّيْف الآتية من بَعِيد، لقد أَبْرَق البَرْقُ ثلاث مرات متتالية.

فقال ضياء:

- لقد ظَهَرَت أَيَادى المَطر .

هكذا؛ كان ذلك أَسْعَد يَوْم لنا، وهو أيضًا أَنْسَب يَوْم يمكن أن نلتقط فيه صورًا فوتوغرافية.

قبل أن نَصل إلى أول منْعَطف ، تَحَوَّل صَوْت المَطر بسرعة إلى لَحْن. حِينما كانت أَيَادى المَطر تُداعِب أَلْعَابنا رأينا العِمْلاق الذى كان يُمْطر المَطر. وبينما العملاق يَضْحَك كالطفل كانت ألعابنا تَسيح وتَسِيل كالشَّمْع... كبارينا قد تَحَطَّمت...وحيواناتنا الصَّغِيرة أَصْبَحَت وَحْلاً... ولم تَتبَق لنا سَياراتنا ولا زرافَاتنا.. ولا حتى أفْيالنا..

الطُّفولة لُعبَة تُلْعَب مع إشْرَاقَة كُلِّ يَوْم جَدِيد

طَوْقُ كَلْبِي أَحْمَر



قِطَّتى مَاوِيش قالت: مياو

طارت الغربان ، قطتى نامت على غُصْن الكرَاز.

الرياح تفُوح لها برائحة الزُّهور.

الجَوُّ كان صَافيًا وبلا غَمام. كنت أتَمدد منكبًا على بطنى فَوق الخُضْرة، الفراشة حَطت على إصبعى الخِنْصَر برقة. كانَت الفراشة مختلفة الألْوان عندما تَطِير تَبْدو أجْنحتها كَأَنَّها زهرتان تفتحا بشكل جميل.

فصِحْت قائلاً: طيرى أيتها الفَرَاشة، طِيرى.

فلم تطر.

وعندما هَمَسْتُ قائلاً: ابق إذًا بجانبى دائمًا. طَارَت بِسُرْعَة.

قالت الفَرَاشة وهى تَطير: سوف أشْتَاقُ لإصْبعك الخنصر ولم يكن ما أسْمَعه خطأ، حقًا لقد كانت الفَرَاشة تَتَحَدَّث معى، فَقَفَزْتُ من السَّعادة.

هذه المَرَّة حطت الفَرَاشة على الأقحوانَة التى بِجَانبِى.

- مَنْ علَّمك الكلام؟

- فقالت: هَذَا لَيْسَ مُهمًا دَعْنا نَرَى أين قِطَّتك؟ بمُجَرَّد أن قلت : أين أنت يا ماويش؟ ماءت ثَلاث مرات من تبة الشجرة وقالت: مياو. لكننى كُنْتُ أُريد أن أتَحدث إلى الفَراشة ولكنها قد طارت أم هل ما كُنْت أعيشه حلم؟ ألا يُمكن أن يكُون المُتَحَدثُ شَخْصًا آخر؟ لو حَكيت هذا السِّر الخَطِير فَسَوف يَضْحك علىَّ كل الناس.

وعِنْدَما نَزلت ماويش من على الشَّجَرَة قَفَزَت إلى حُضْنى فى الحال، كانت تلْعب بخيط الطائرة الورَقِيَّة وبَدأت تَركض لكى تأْخُذ الخَيْط فى فمها ولكنها بعد عشر خُطُوات توَقَّفَت فجأة.

قالت : ألا يمكن أن تترك طَرَف الخَيْط؟

عندما تَركْت طَرَف الخَيْط حَلَّقت الطائرة الوَرَقِيَّة، لَقَد كَانَت طائِرتى الوَرَقِيَّة تتسابق مع العَصافير، كان خَيْطها بيدى.

لقد كانت هذه هى احْتِفَالِيَّة الصَّيْف.

قالت ماويش : إنَّك مُحِق.

قالَت وكَأنَّها تُغَنِّى: أُريد أن أعيش . أريد أن أعيش.



أما آخر من تَكَلَّم فقد كانت الفَرَاشة.

لقد حَدَثَت أشياء غَرِيبَة فى هذا اليوم: أولاً الفَرَاشة تحدثت ثمَّ بدت قطتى وكأنها تَغير من الفَرَاشة وتُريد أن تُمسك بها، قَفَزَت مَرَّة ومرَّة أعْلَى ولكن يَبْدو أنها لن تُفْلح فى القَبْض عليها. قَفَزَت إلى الأمام ثمَّ رَكَضَت بسُرْعَة أكثر، ثمَّ وَقَفَت فَجْأة واتكأت على قَدَمَيْها الخَلْفِيَّتين ثمَّ مَشَّطت شَارِبها بقَدَمَيْها الأماميَّتين، لقد شُحِنَت بالغَضَب، وركَضَت ناحيتى وبمُجَرَّد أن جَاءت بجانبى، قفزت بسُرْعَة على كتفى.

فقلت: لا تُخَرْبشى.

لم تَهْتَم بمَا قُلْت، كَانت عَيْنَاها عالقة بالطَّائِرة الوَرَقِيَّة، وفى الواقع كانت طائرتى تدعو إلى الغَيْرة لقد كانَت كَزَهْرَة السَّماء.

- لقد كانَت قطتى العَزِيزَة تريد أن تَطير.

من الذى قد تحدث؟ الفراشة. يَبْدو أنها تُريد أن تَلْعَب لعبة خَطِيرة حينما هي تَلْمس أقْدامى بمخلبيها الأماميين، أمسكت بطرف الخيط.

ها هى الطفولة لقد لَفَفَتُ الخَيْط حول صَدْر القِطَّة ثمَّ تَرَكت طرف الخيط بهدوء وفى صَمت قطتى عندما سارت بسُرْعة كأنَّها تَجْرى، فجأة حلَّقت فى الهواء.

فَقُلْت صائحًا: فلتعش.

لقد بدأت ماويش فى المواء وكأنَّها تَبْكى، تُريدُنى أن أخَلِّصها، لكن كان هذا الاضْطِراب بلا جَدْوى فقد طَارَت هرَّتِى ولم أصِل إليها، فلقد تَجَاوَزَت الطَّائِرة مع القِطَّة التبة بِكَثِير، فَصِحْتُ عَلَيْها قائلاً:

عودى ! سَوْف تَضِيعين.

كنت مهما أصيح عليها: عُودى. لكن لا حَيَاة لمن يُنَادى، كُنْت أرْكُض حتى غربَت الشمس خلف التَّبة، أقْبل المساء وغَابَت ظِلال الأشجار.

أضْوَاء مَنْزِلنا أضَاءت، منذ وقت طَوِيل قالت أمى: رَأَينَا قِطَّة تَطِير!

- فقلت : إنها كانت ماويش.

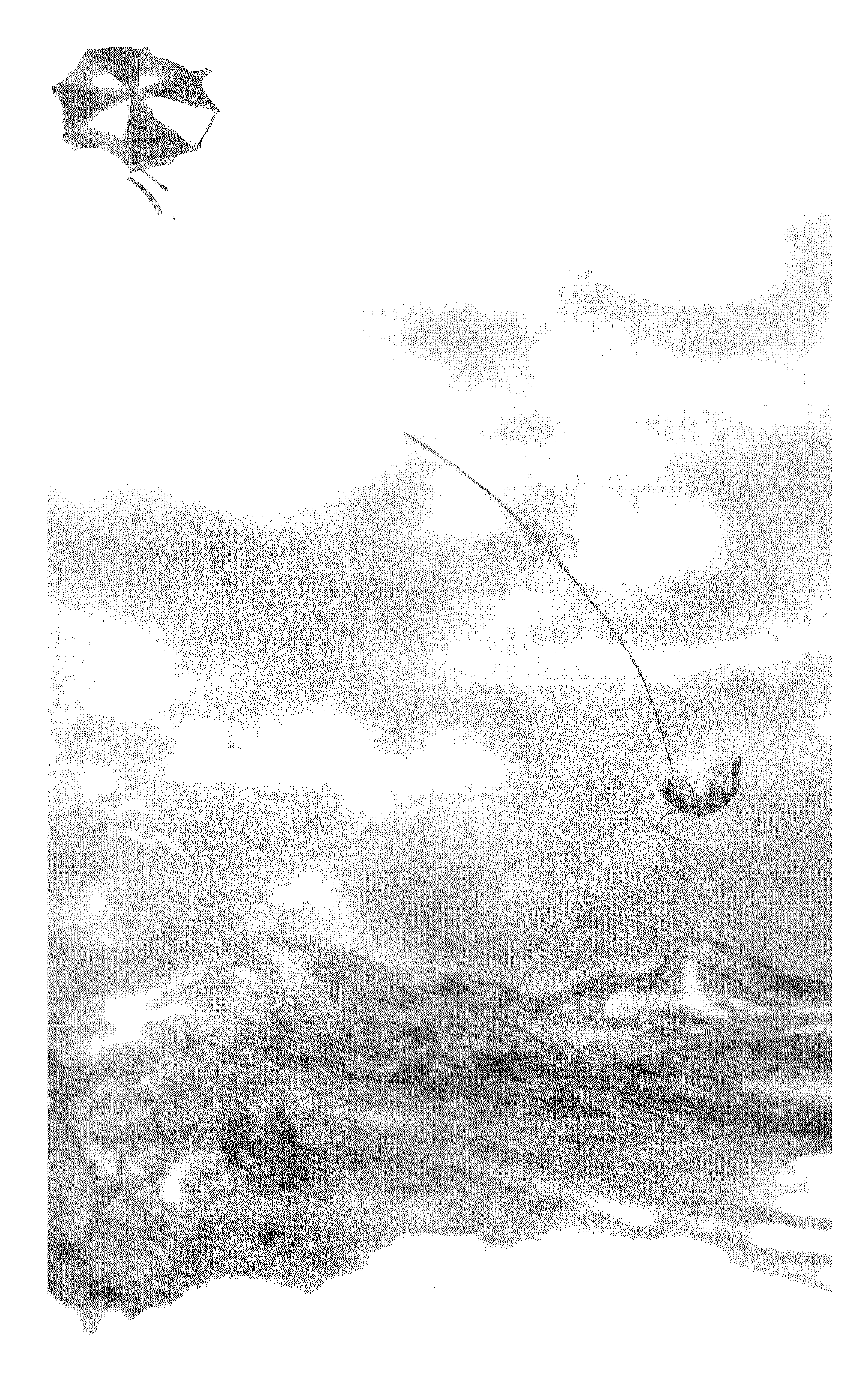
شرحت لأمى كل شىء فى تلك الليلة، رأيت ماويش فى رُؤْيَاى كانت تَنْتظِرُنى على تَبَّة جَبَل ثَلجِى وقد حَاصَرَتْها الذِّئاب والثَّعالب والأُسود والنُّمور. وعِنْدَما زَأَرت الأُسود انفض الجَمِيع من حول القِطَّة بسُرْعة.

عندمَا استَيْقَظْت حَكَيْت لأُمِّى ما رأيته.

فقالت أمى: إنها لن تَظَل بالخارج حتى المَسَاء ، فَسَوْف تأتى.

ذلك اليوم لم أُغَادِر حَدِيقَة المَنْزِل مُطلقًا ، ولم تعد قطتى.

مَرَّ على ذلك أيَّام وأسابِيع، قَطَعْتُ الأمَل فى أن تَعُود قِطَّتى



الجَميلة، كنت أُلْصِق على الجُدْرَان الأشْعارَ التى كنت أكتبها فيها والرُّسومات التى كنت أرسمها لها كان الشعر والرسم بَعْضه تَحْت بعض:

ماويش عيُونها زَرْقاء

وشَعْرها أكْثر بياضًا من الحَرِير

طَارَت وذَهَبَت إلى بَعِيد

لقد قَضَيْت هذا الصَّيْف باكيًا ثمَّ بَدَأت الاستعْدادات لدخول المدارس، هذا العام كُنْت سَأدْخل الصف الثالث.

فى أول أيام الدِّراسة حينما كنت أسير فى الطَّرِيق سَمِعْت صَوْتًا كصوت ماويش. أيُمْكن أن تَظْهَر قطتى الحَبِيبة أمامى فجأة؟ من الانْفِعال لم أكن أعرف ماذا أفعل؟ فركضْت نَحْوها على الفَوْر.

فقفزت إلى حُضْنِى بسُرْعَة.

لكنها هَزُلَت كثيرًا، لقد أصبحت جِلْدًا على عَظْمٍ. وقد اتَّسَخ فراؤها كثيرًا فأَخَذْتها وعُدت إلى المَنْزِل غَسَلْتها جَيِّدًا بالماء الفاتر. عندما وضعت أمامها طَبَق الحَلِيب قالت من جديد: مِياووو ، كما كانت تَقُول فى الماضى.

فقلت: فلتعش قطتى. ماويش قالت : ميّاو .

مَكَثْت فى المَنْزِل فى أوّل يوم من أيَّام الدِّرَاسة، فَلَم يَكُن من المُمْكن أن تُفَارِقنى قطتى العزيزة التى كانت تنام فى حُضْنِى.



الابتِسَامة التى تُقَدِّمُهَا الأسْماك

لقد كان تامر طفلاً رقيقًا .

كانت الابتِسَامَة لا تُفارِق وَجْهَه حتى عنْدما يبتَسم كان الخط المرسوم على وجهه لا يختفى.

وكان شَعْر رَأسه يَذْهب مُهَفْهِفًا مع الرِّياح كريش العَصَافير، له وجه صَغير وعينان جَميلتان وقَامَة طَويلَة، يَسْتَرِيح، له قلب مَنْ يَنْظر إليه بخاصة عندما يَرى نَظَراته الحَزِينَة.

كنا نَرَاه دَائمًا واقفًا على قَدَمَيْه وقليلاً ما كان يتكلم، كل أصْدِقائه كانوا أَصْغَر منه، كُلُّ ذَلِك لم يكن يُخْرِجُه عن صَمْتِه لقد كان فى الثالثة عشرة من عمره، ولكنه يبدو وكأنَّه أَصْغَر من ذلك كأنه فى السَّابِعة أو الثَّامِنة من عمره.

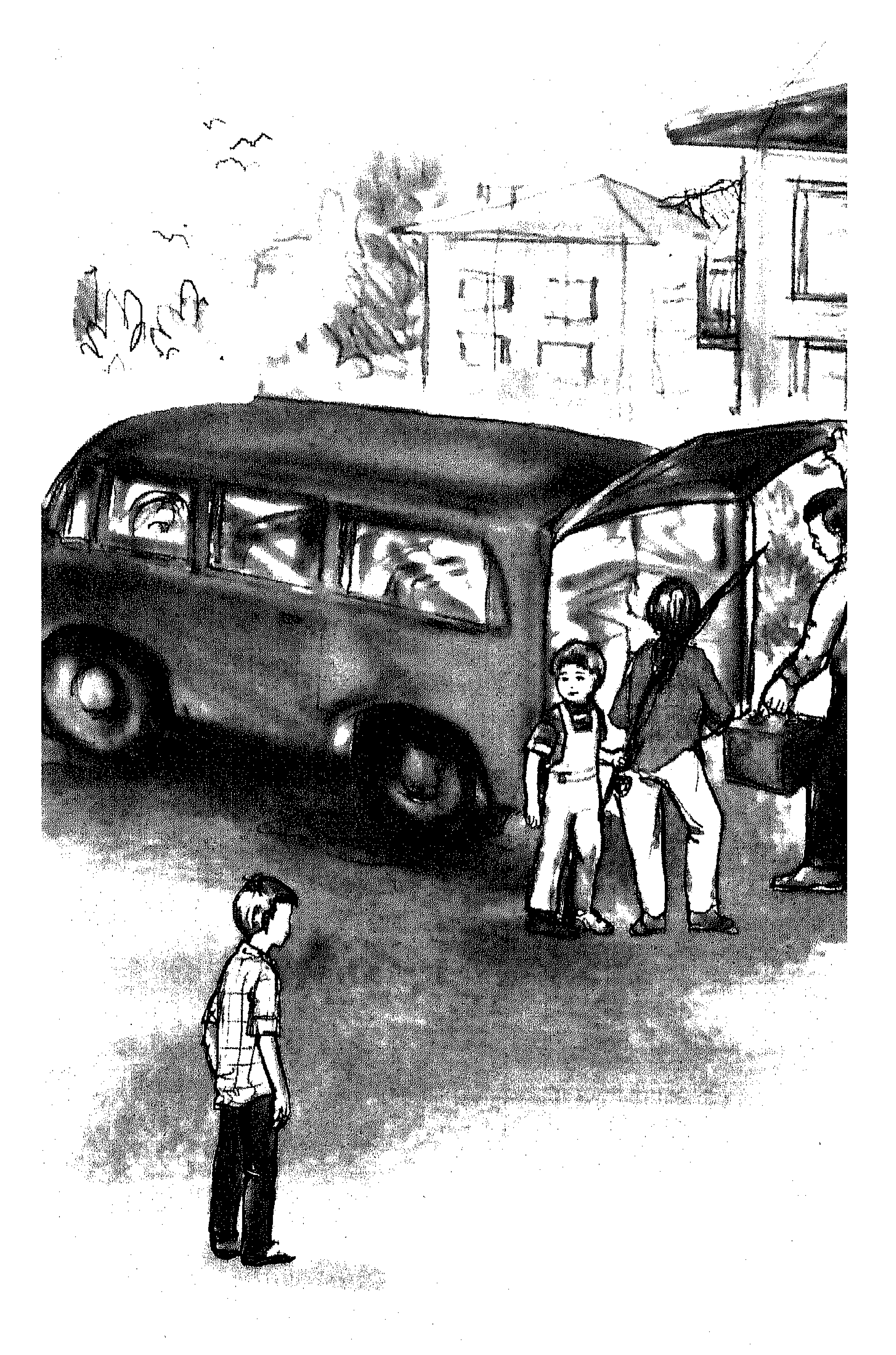
ولد في المدينة ولكنه يعيش مع أمه وأخته الكُبْرَى في القرية، وكان أخوه الأكْبَر مُلْتَحِقًا بالخدْمَة العَسْكَرِيَّة ولم تكن عنده المَقْدرة على أن يَسْتَمر في الدراسة بعد المَرْحَلة الابْتدائيَّة، ولم يكن هذا ما يُحْزِنُه لقد كان طفلاً جسورًا ونبيهًا حتى إنه كَان يَتَسَلَّق التباب والأشْجار غير المُثْمِرة.

لم يكن يخاف من الظلام فلا فَرق عِنْده بين الليل والنهار .

لكي تَجْعَل تامر سَعِيدًا جدًا يَكْفِي أن تسْأله سؤالاً أما هو فلا يسأل أبدًا حتى لو كان السُّؤال : كم عمرك؟ وعِنْدَما تَقْتَرِب منه تَشْعر في داخلك بِرَغْبَة في التَّعَرُّف عليه. وفي الوقت الذي أنت تفكر فيه إذ به يُعَرِّفك على نفسه بالابْتِسَامَة التي تَرْتَسِم على وجهه ويَجْعَلُك تُفَكِّر في الابتسامة وصفاتها، هو لَيس لَدَيْه هدية يمكنه أن يهديها إليك غير ذلك.

لقد كان تامر يَثق تمامًا في نَفْسه، ولو لم تَسْأله كان يُمْكِنُه أن يقف أمامك لبضْع دقائق دون أن يتحدث أو يتمَلْمَل .

لقد كانت أول مرة أتحدث معه فيها بالأمس، فهل أنا اكتشفته أو هو الذي اكتشفني؟ في الحقيقة؛ لم يكن هناك فَرْق بيْني وبَيْنَه فمنذ كم سَنَة وأنا أمر على هذه القرية، وكنا نَتَواجه عينًا بعين ولكن لم يكن يَحْدُث ما حدث بالأمس.



لقد قُلْنا للجيرَان إننا سوف نَخْرُج فى رِحْلَة عائلية لصيد السمك ، وقد عَلِم تامر بذلك أيضًا .

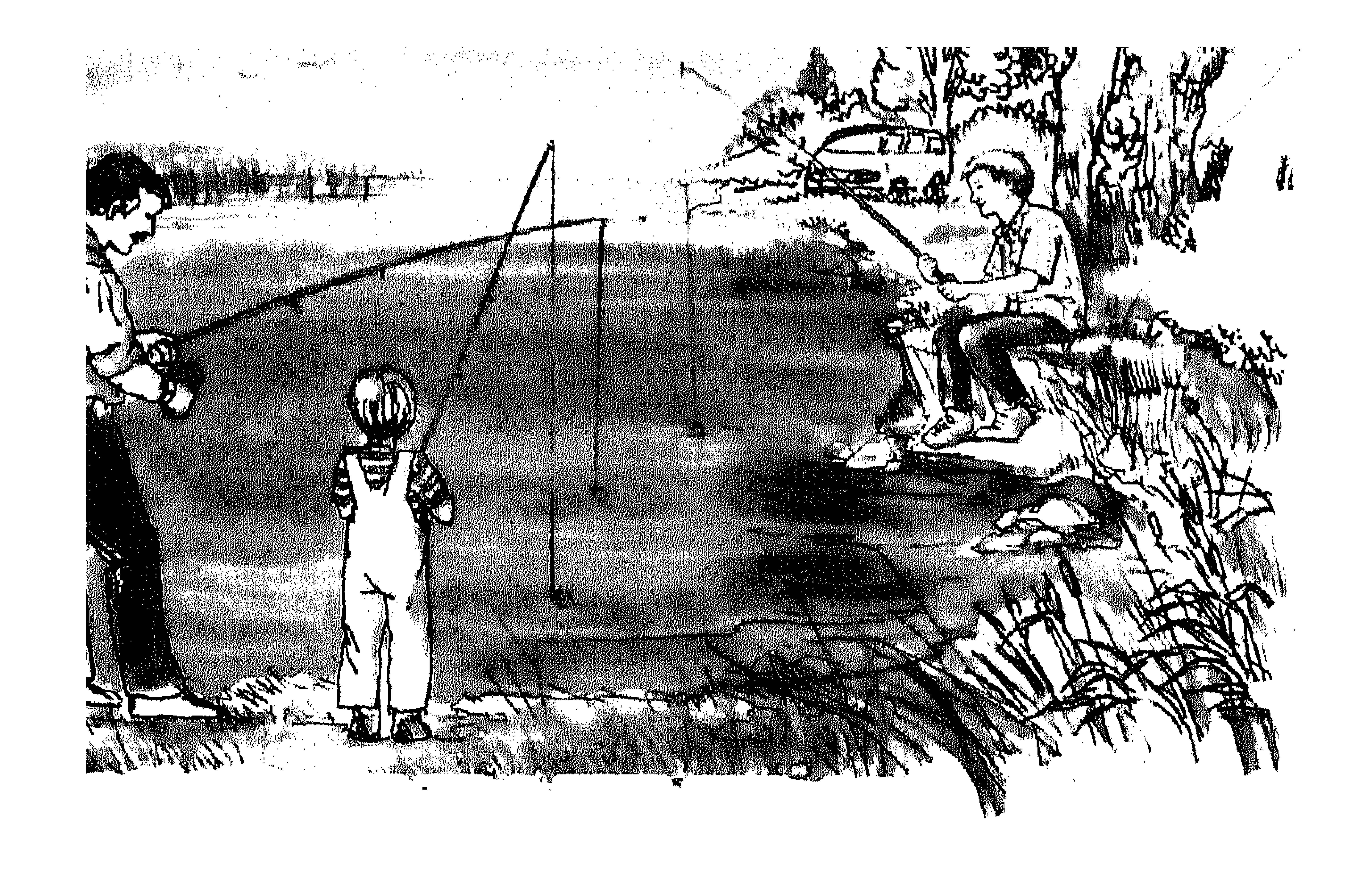
وفى الوَقْت الذى بَدأت حافِلَتنا تتحرك، جاء بجانبها ووقف وقد ارتسمت على وجهه مَلامِح الخط المرسوم ونَظَر كلٌّ منا فى عين الآخر فَفَهَمْتُ ما يُريد .

- هيا تعال مَعْنا .

كان يَجْب أن تَرَى سَعَادتَه بمُجَرَّد سَماع صَوْتى ورَفْع يَدَيْه إلى الهَواء وركوبه السَّيارة باضطراب، وجلُوسه آخر السَّيارة. ابْتَعَدْنَا عن القَرْيَة من خلال الطُّرق التى تَمر من وسط الحقول التى تم حَصَادها . بعض الأيَّام تَطُول حتى إنه يُهَيَّئ للإنسان أنها لن تَنْتَهى وهكذا؛ وَصَلْنا إلى البُحَيْرَة فى وقت العصر فى أحد الأيام وألقَيْنا الصِّنارات فى البُحَيْرَة، وحينما كان يَتَزايد ظِل كُلٍّ واحد خَلْفَه كانت العيُون تتابع الفلِّين المَرْبوط فى الخَيْط، وهكذا وحتى ارْتِعاشَة خفيفة كانت تجعل البُحيرة تتماوج، أَوَّل سَمَكة كانت صيد سردار، وكانت صَيْحَاته يَسْمَعها كل شخص وبَعْد قَلِيل سُمِعَ صَوْت تامر:

- سمكة سمكا!!!!!

وارتسمت ابْتِسَامَة عريضَة على وجه تامر، وابْتَعَدت عن وَجْهِه فَجْأة عَلامات الحُزْن العَميق، وبَرَقت عَيْناه من السَّعادة، لقد كانت أول سَمَكه يَصْطادها ، وصاح كل من بينَار ومُرَاد وجَميل فى وقت



واحد قائلين:

- فليحيا تامر فَلْيَحْيا!

وصَفّقوا له . فلم يَكن من المُمْكن أن تراه مزْهوًا كما هو الآن.

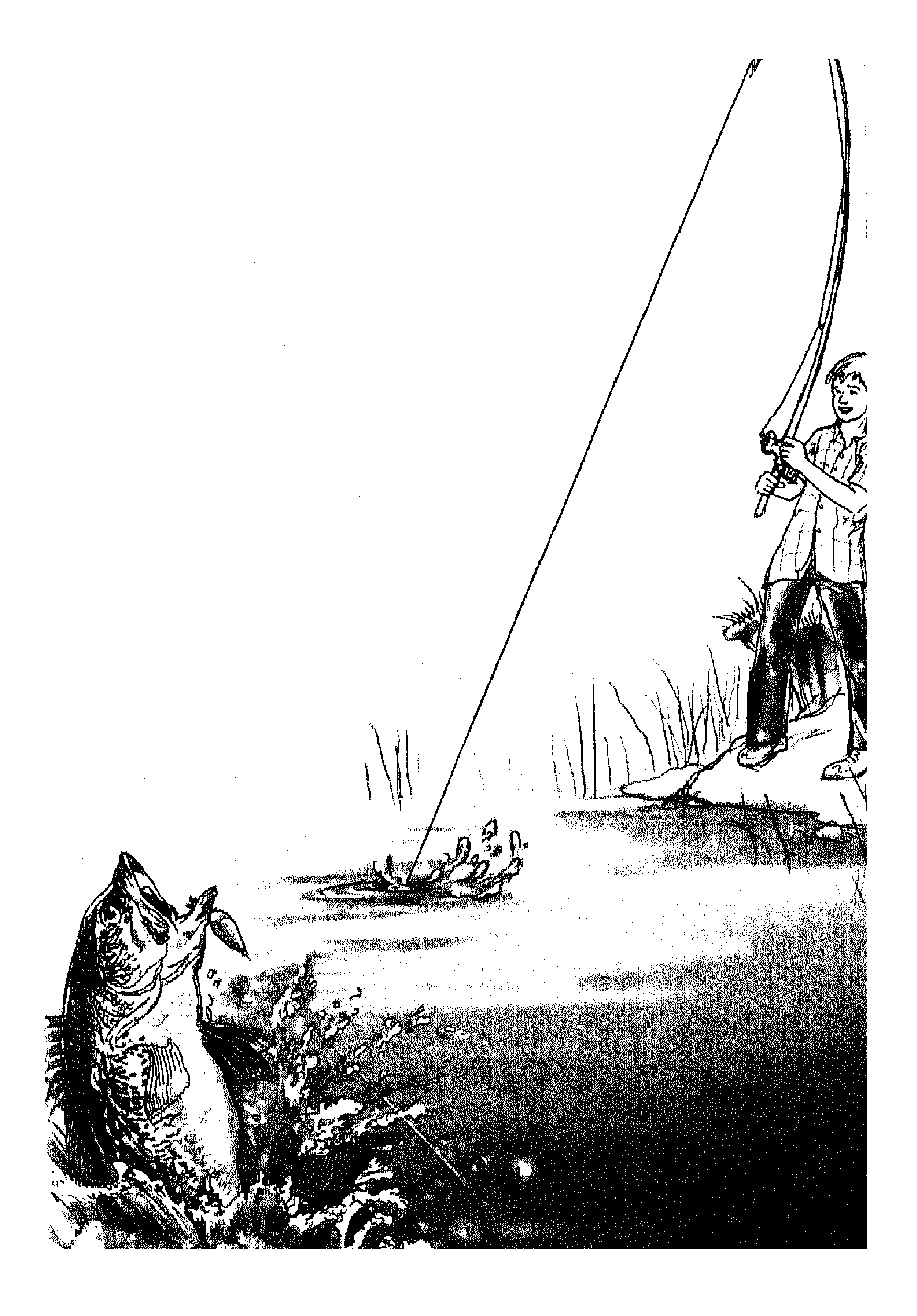
ورُبَّما كانت أول مَرَّة يُصَفِّقون له .

لقد سَعِدَت البُحَيْرَة معنا، واستَمْتَعْنا فى البرارى حتى تغشانا المَساء بِجَوِّه اللطيف.

عندما جَاء البَقَر لكى يَشْرب مِن البُحَيْرَة أفْسدوا فى الحال سِحْر اليوم .

كانت الشَّمْس بآخر أَشِعَّتها تُداعِب البُحَيْرَة.

كُلُّنا فيما عدا تامر بدأ يَسْتَعد للعَوْدة ولو كنا تَركْنا تامر هناك لبقى.



صِحْنا عليه العَديد من المرَّات، وقلنا :
- سَنَذْهب! .... وهو لا يَسْمَع
وكأنه ارْتَبط فى البُحيْرة بالصِّنارة، ولآخر مَرَّة غَمَس صِنَّارته فى مياه البُحَيْرَة، كان ينظر دون أن يَرُفَّ بعينه.
- هيًّا يا تامر!...
تامر لا يُريد أن يَسمع شيئًا ونحن بِدَوْرنا لم نكن أقل مِنْه شغفًا لِمَعْرِفة آخر آلأعيبه. كانت ابتسامته على وشك أن تظهر على وجهه. عندما سِرْنا قال بابْتِسَامته المَعْهُودة:
- أنا اصطدت أكبر سمكة.
فَرَنَّ فى آذاننا صَوْت تامر ثمَّ أَلْقَى قُبْلة على البُحَيْرة وتَفَحَّص أَعْماقها. كان تامر يَرْكُض بسرعة نَحْونا، ولم يَسْبق لنا أن رأينا تامر فى سَعادة كهذه، ثم أعْطَى السمكة التى اصطادها لجميل، قلت: إن الشَّمس أوْشَكت على المَغيب.
لكن لم يقف مكانه، فكان يَرْكُض مُهَرْوِلاً وهو يَرْسُم دوائر بقدميه، كان يتمنى أن يَبْدَأ اليوم من جَديد كان يُمْسك يَديه بعضها ببعض حتى إن أصابعه الرقيقة لا تظهر وكأنه يخْفِى سِرًا ما.
عُدْنا ونَحْن نُغَنِّى أغانينا.
ولكن تامر مَرِض فى تلك اللَّيْلَة.
وأمُّه قد جلست بجواره وسألت:
- هل دَخَلْتُم الماء؟
فقال تامر :
- لا .

وهذا حقيقى فلم يَدْخُل الماء، حتى إن أقدامه لم تَبْتَل.

وبعد يَوْمَين تقابلنا مع تامر وكانت خطوط الابْتِسَام قد أخَذَت مكانها على وجهه من جديد، قلت له:

- ألف سلامة لك.

عندما جاء إلى جانبى بدأ فى الحديث؛ فقال: الحَمْد لله، ثمَّ أخَذ نفسًا عميقًا وقال:

هل تعلم أن البُحَيْرَة كانت مثل السِّينما، ففى كُل مَرَّة كنت ألقى فيها الصِّنارة كانت أُمِى وأبى وأخى وأختى الكبيرة، نَرْكُض وَرَاء بَعْضِنَا بَعْضًا، نِقاب أمى كان ناصِع البَياض. وكانت أخْتِى تَأتى جَرْيًا مع طائرتها الوَرَقِيَّة وأخِى كان يقف فى الوَسَط وهو يَرْتَدِى مَلابس العسكر، وفى آخر رَمْيَة لِصنَارتى اكْتملت الصُورَة الفوتوغرافية، وكانت الطبول والمَزَامير لا تَتَوقَّف عن العَزْف هذا كان سَبَب تَأخيرى لكم. كان ذلك بالرغم من أنَّه حُلْم جمع كل عائلتى المتفرقة منذ خمس سنوات وعندما شَبَكَت سَمَكَةٌ كبيرةٌ فى صِنارتى وصِحْتُ بِصَوْتٍ عالٍ قائلاً.. سمك ... عند ذلك فقدت صُورَتَنا العائلية التى فى الماء وقد حزنت لذلك كثيرًا.

انظر؛ الآن لَيْس بى شىء فلا تنسونى عنْدَما تَذْهَبون إلى البُحَيْرَة.

فقلت: حسنًا.

ثمَّ مَدَّ تامر ذراعيه على جَانِبَيْه وانطلق مُبْتَعدًا وهو يَصِيح: سَمَكَة سَمَكَة. سَمَكاااا.



طَوْقُ كَلْبِى أَحْمَر

استعدت العائلة لقضاء إجازة الصيف .

فيما عدا «آصُومان»، حيث كانت تَبْحَث عن الصُّورَة التى أَخَذَتْها مع كَلْبِها فى العام الماضِى . فى النهاية وَجَدَتْها، لقد كانت تخفيها فى وسط أوْراق كُرَّاسة الرسم.

– هَيَّا لِنَذْهب يا «آصُو» .

هكذا كان يناديها بـ «آصو» كل من أبيها وأمها وأخويها الكَبيرين، كان هَذَا لا يَرُوق لها وتَغْضَب وتقول:

– أنا اسمى «آصومان» هل فَهِمْتُم «آصومان»!

كانوا سَيَقْضُون إجازة الصَّيف فى قَرْيَة أورنجيك التى تبعد عن إستانبول ساعتين، وكانت «آصومان» نَاجِحَةً وَمَنْقُولَة للصف الثالث الابتدائى. ولم يكن ذلك ذا أَهَميَّة، فلم يَبْقَ أحد للإعادة

فى فَصْلها عمومًا، وقد كَانَت تجلس منتصف المقعد الأخير فى الفصل ، وكانت تُمْسِك حَقِيبَتها فى حُضْنِها بِقُوَّة.

قالت: رِحْلة سَعِيدة يا أبى العزيز!

عندما تحَرَّكت السَّيَّارة امْتدت وقبَّلته من وجنته، «آصومان» كانت تُحاول أن تَتَعَرَّف على كل ما تراه عَيْناها دون أن تَرُفَّ عيناها.

فَقَدْ كانَت المَبانِى الكَبِيرة تَنْزَوِى إلى الخلف بسرعة وبعد بُحَيْرة «تشكمجه» كانت تَرى حُقُول القَمْح.

كانت تَرَى دَوَّار الشَّمْس وهو يُدِير رَأْسَه ناحِية الشَّمس، ويَسْتَمع إلى السماء دون أن يَتَحَرَّك وكأن الشَّمس هىَ قبطانه.

وتذكرت «آصومان» أول يوم رأت فيه كَلْبها فى العام الماضى، فأخذته فى حُضْنِها وَرَبَطَت رَأسه بِطَوْقٍ؛ ولأنه كان حارسًا فى الساقية فقد أطلقت عليه اسم «أُويكوسُوز» وقَد أُعْجِب جَدُّها بهذا الاسم كثيرًا لقد كان الكَلْب «أُويكوسُوز» فى الثانِية من عُمْرِه، وكان لون فرائه أبيض مع أسود، وأثناء ذلك قالت:

– أبى هَلا وَضَعْت شَرِيط الكاسيت الذى سَجَّلْنا عَلَيْه صوت «أُويكوسُوز» فى الجهاز لنسْمَعَه؟

– هَل هَذَا مناسب الآن يا بُنَيَّتِى؟

– أَرْجُوك .. مُجَرَّد ثَلاث دَقائق..

سُمِع صَوْت «آصومان» مع الكَلْب من شَريط الكاسيت ، كان صوت «آصومان» مِنْ بَعيد يقول: «أُويكوُسُوز، أُويكوُسُوز» وكان يَتْبَع ذلك خَليط من زَقْزَقَة العَصافير، وخَرير الماء الذى يَنْسَالُ من فَتحة السَّاقية. فى تلك اللَّحَظات كانت «آصومان» تنْظُر خفْية إلى الصُّور الفُوتُوغْرَافيَّة التى وضَعَتها فى كُرَّاسة الرسم، فَجْأة تَجَسَّدَت الأيام لها، تلْك الأيام التى كانوا يَرْكُضُون فيها فى الحُقول، لقد تقابل معها «أُويكوسُوز» فى مُنْتَصَف الطَّريق المؤَدِّى إلى السَّاقية، وقبيل المَساء كانوا قد وَصلَوا إلى مَدْخَل القَرْيَة.... ذات حين أَمْطَر المَطَر ولم يَذْهَبا إلى السَّاقية فَجَاء «أُويكوسُوز» إلى المَنْزِل وظَلَّ بِجَانِبها فَتْرَة ثمَّ عَاد بَعْد ذلِك فاغْرَوْرَقَت عَيْنا «آصومان» بالدُّموع .

مُغَامَرات «آصومان أويكوسوز».

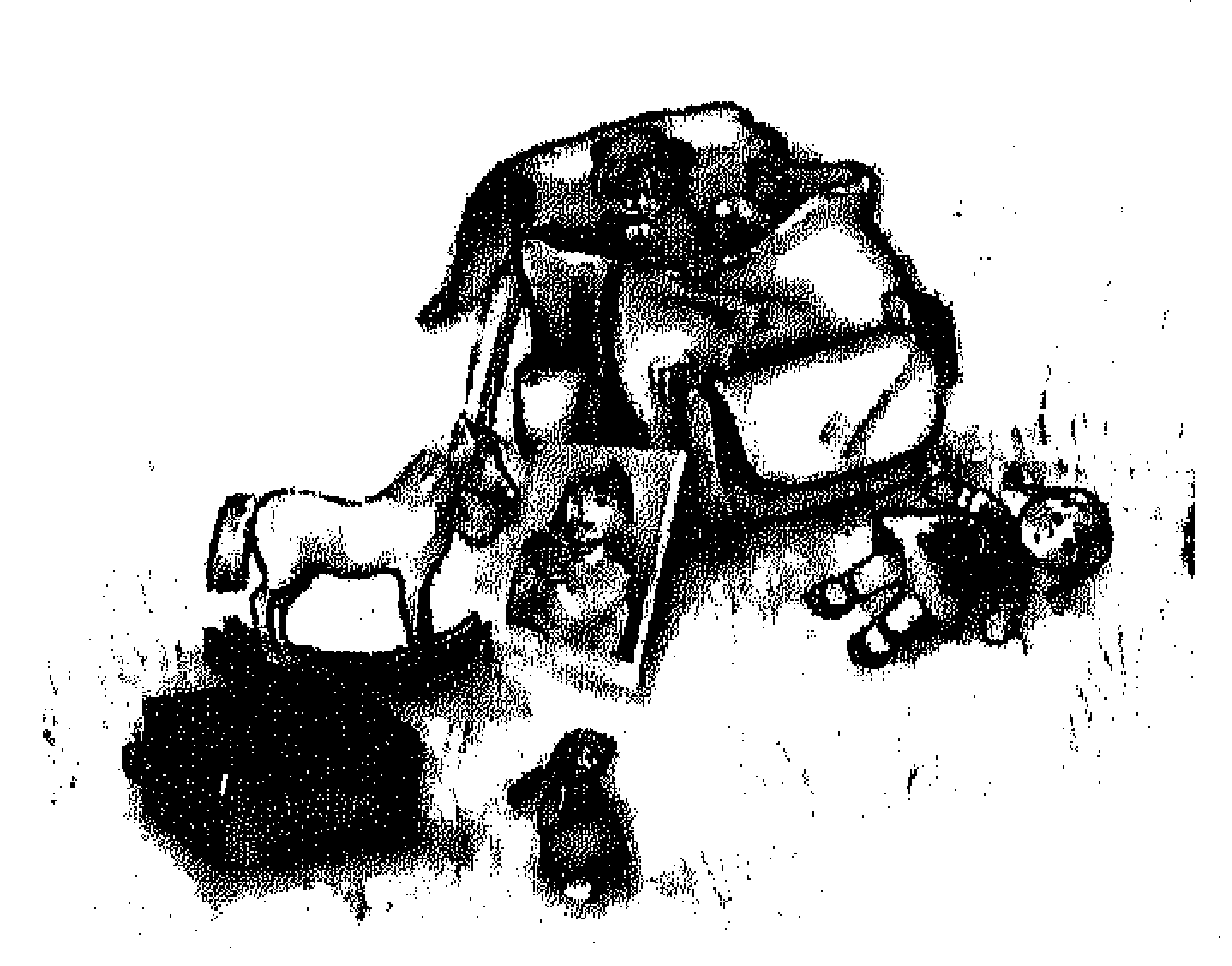
قالها جميل مداعبًا «آصومان» . وكانَتْ هذه الكلمات كافية لإبعادها عنهم .

– إن ذلك ظلم يا أبى!

– فتمتم أبُوها قائلاً : لا تغضَبى .

وصَاحَت أمها قائلة يا بُنَيَّتِى إنها مُزْحَة ، فَتَذَمَّرَت «آصومان»، وتَرَاخَت على المقْعَد، أَغْمَضَت عَيْنَيها، ولم تكن تُريد أن تَسْمَع ما يُقال أطْرَقت بِأُذُنَيْها : آآآه إنه شَرِيط كاسِيت به فُكَاهَات أُويكوسُوز، ثمَّ رَأت فى حُلْمها تَجْسيد الحديقة التى بِها السَّاقِيَة

وأويكُوسُوز يَرْكُض مُباشَرة تِجاه القَرْيَة، وهى تَرْكُض وَرَاءه.



والعَصَافِير والفَرَاشات تُزَيِّن هذه الرِّحْلة. وَيحاصُرونهم وهم يَتَسابَقُون تحت الغُيوم البَيْضاء.

– أفيقى يا آصو قد وَصَلْنَا إلى القَرْيَة!

آصومان رَكَضَت أولاً ناحية جَدَّتها واحْتَضَنَتْها وقَبَّلت يَدَيْهَا، ثمَّ خَلَعَتْ حَقيبَتها فى غُرْفَتها بِسُرْعة، ثمَّ خَرَجَت وأَخَذَت معها الصُّور الفوتوغْرَافِيَّة واللُّعب التى أحْضَرتَها لأويكوسُوز. قالت وهى تَرْكُض : إننى ذَاهِبَة إلى السَّاقِية.

خرجت «آصومان» وهى تَرْكُض، لا شىء تَغَيَّر فى القَرْيَة، لكنها هى التى كَبُرَت، كانت وهى تَرْكُض تِجَاه السَّاقِية تَسْمَع صَوْت خَرِير ماء النَّهر.

– أُويكوسُوز هُوى.. أويْكُوسوز.

على الرغم من أصوات صرير السَّاقية العاليَة، فإن جَدَّها سَمِع صَوْتَها ، فَخَرَج إلى الطَّرِيق، أما «آصومان» فكَانَت تَنْتَظِر أن تَرَى «أويْكُوسوز» لكنها أَسْرَعَت عندما رَأَت جَدَّها واحْتَضَنَته تحت أشجار البَرْقُوق.

– أين «أُويكوسُوز»؟



فقال لها جدها بالكاد : فى الحقل...

لا بُد أن أراه عندما يَعُود، انظر لقد أحْضَرت صُورَه فاغْرَوْرَقَت عينا جَدِّها عندما رأى الصُّور واحْتَضَنَها أخَذَها وسَار بها تِجاه رَبْوَة مُرْتَفِعَة عن الأَرْض، فَشَعَرت «آصومان» بشىء ما ، لكن جَدَّها كان صَامِتًا ، وأنزَلها من حُضْنِه، وفى الأمام قَلِيلاً كانت تُوجد بَيْن الزُّهُور كَوْمَة من التُّراب، وغُرِس فَوْقَهَا غُصْن من الصَّفْصَاف الجاف انهار كِلاهُما فى البُكَاء، واحْتَضَنَت «آصومان» جدها .

– ماذا يَفْعل «أويكُوسُوز» الآن ؟

– يَنَام .

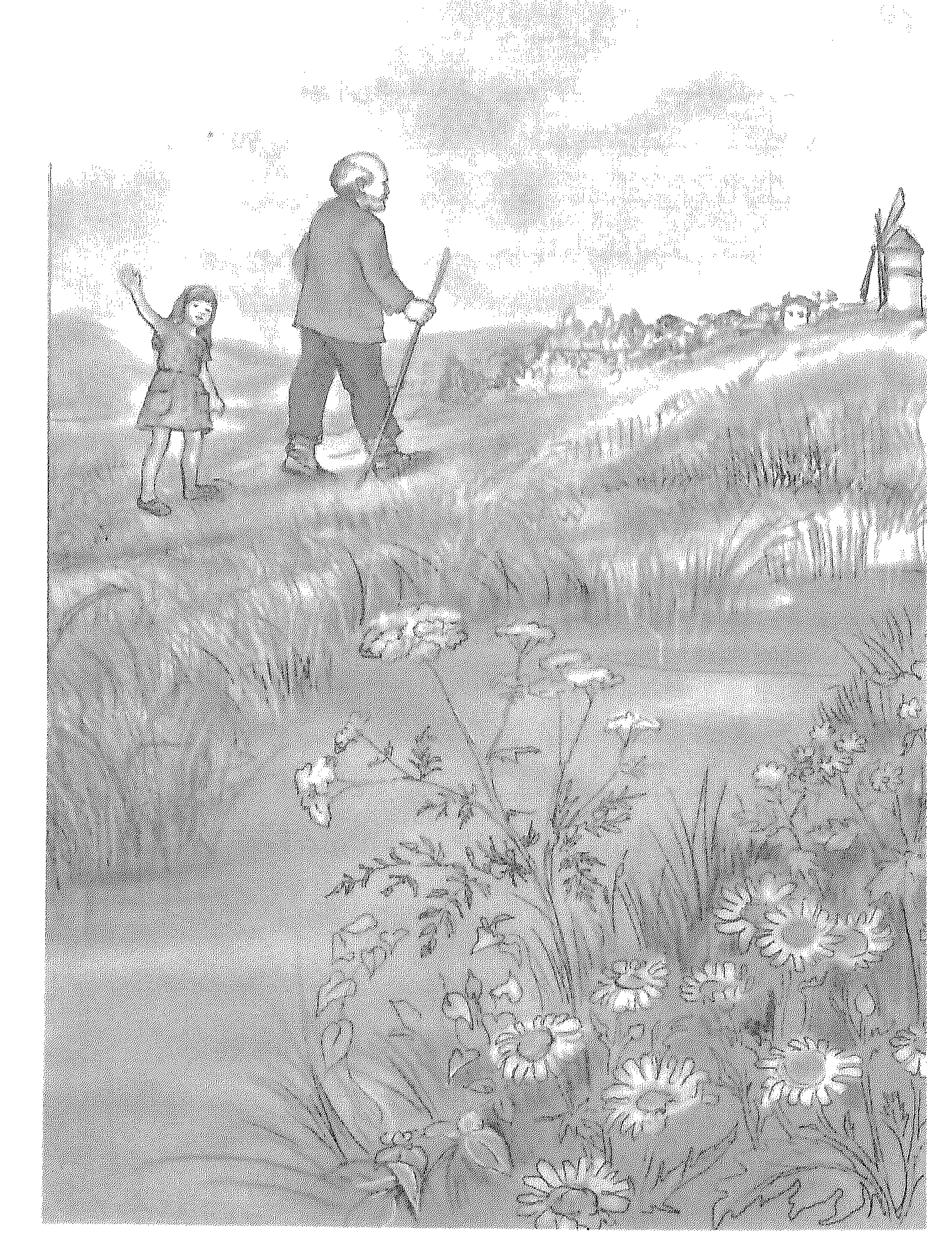
– ألن يَسْتَيْقظ أبدًا؟

– لقد مات أويكُوسُوز، لكن من يُحِبُّونَه سَوْف يَذْكُرُونَه باستمرار.

أريد أن أُزَيِّن قَبْرَه بألْعَابِى، فَتَحت «آصومان» شَنْطَة الظَّهْر الخَاصَّة بها وأخْرَجت منها الحِصان المُتَأَرْجِح والعَرُوسَة البلاسْتِيكيَّة، والأرنب الشَّقى والعُلْبَة المُوسيقية ونَثَرَتها جَمِيعًا، أمام الصُّور فَنَشَرتهَا بين اللُّعَب بمُجَرد الضَّغْط على زِر الكاسيت سُمِع صَوْت «أويكُوسُوز».

قالت : سَوْفَ آتى إلى جَانِبك كل يَوْم ، سوف أَرْكُضُ فى الحقول التى تَجَولنا فيها من أجلكَ.

ثمَّ سارت مع جَدِّها ناحية السَّاقية، وكانت «آصومان» تَقِف وتَنْظُر



خلفها ، وتُشَاوِرِ بِيَدِهـا ، ثمَّ تَسْتمر فى طَرِيقها من جَدِيد عندما كانت تَعُود إلى السَّاقية فى اليوم التالى، كانت تَسْتَلْقِى بسُرْعَة على الأريكة الخَشَبِيَّة المَوْجُودة فى الحَدِيقَة، وأغْمَضَت عَيْنَيْها . كانت ترْكُض فى الحُقُول، وتَلْمِس الزُّهور، كانت تُشَاوِر بِيَدِهَا للطُّيُور، كان «أويكُوسُوز» أحيانًا يَرْكُض بِجانبها وأحيانًا يَخْتَفِى . كانوا يَرْكُضُون بَعْضهم خَلْف بَعْض يَرْكُضُون .. وَيرْكُضُون على امْتِداد النَّهر، ثمَّ يَلْتَقُون على الكُوبْرِى الخَشَبى، وتكاد «آصومان» تَبْكِى من السَّعادة، وكان أويكُوسُوز يُريد أن يَلْعَب بالأرْنَب الشَّقِى.

ثمَّ استيقظت على صَوْت جَدها، وهو يقول:

– اسْتَيْقِظى يا آصومان.

فقالت : هل ما زال الأرْنَب الشَّقِى على الكُوبْرِى الخَشَبِى.

الأرنب الشقى ! لقد تَرَكْتِه بِجِوَار أويكُوسُوز، ما أسْرع نسيانك!

– فقالت «آصومان» : تذكرت !

– فقال جدها : اسْتَعِدِّى لقد أوْشَكَت الشَّمس على الغروب.

كان قد تعلق بأذُنَيْها صوت «أويكُوسُوز» ثمَّ سَاروا إلى القَرْيَة، كأنما تَسِير بجوارهم ظلال «أويكُوسُوز» التى تَظْهر وتَغِيب من حين لآخر.

نَجْمٌ لِكُلِ طِفْلْ



مَرْحبًا بكم فى بيْتكم

تُصبْح السماء أكثر جَمالا بالطائِرات الوَرَقِيَّة.

كُلَّما طَيَّرْتُها تِجَاهِى أكْثر تتَزَايد سَعَادَتى أكثر وأكثر.

كُلَّما انْخَفَضت أخاف أن تَسْقط. فأصيح عليها : طِيرى .

كُلَّما تَسْمَعنى يَتَزايد ارْتِفاعها.

عِنْدَما يُصَفِّقون لطائرتى أظُنُّهَا تَضْحك عندما تَسْمع صَوْت التَّصْفِيق. هذه أوَّل طائرة لى أراها تَضْحك وهى تَرْسم بِذَيْلها على السَّماء رسُومات وخُطُوطًا، كُنْت أسْتَلْقى على ظَهْرِى فَوْق

العُشْب وأُشَاهد طائِرتى الورقية وأقول.. طائِرتى طيِّرينى يا طَائِرتى على أبْعد تَبة طِفلٌ يَرْكُض.

الطَّائرة الوَرَقيَّة تَخْتَفى مَرَّة وتَظْهَر مَرَّة تُرَى مع مَنْ تَلْعَب لُعبَة الاستغماية؟ هل مَعى أو مع العَصافِير؟ وحينما كُنت أبْحث بعينىّ عن طائِرتى تَخْتَلط فى أُذُنِى أصْوات النَّهر بأصْوات العَصافِير ويتَزايد حَفيف الأشْجَار: أَينَ طائِرتى؟ لقد اخْتَفَت.

آآآه وما هذا أيضًا؟ إنه منطاد أَحْمر ضَخْم يَرْتَفع فوق التَّبة الثانية والطفل نفْسه يَرْكض أيضًا .

لقد كُنت مَحْظُوظًا جدًا فى ذلك اليوم، لقد عِشْتُ يومًا جميلاً تَخيلته دائمًا وكأننى جَعْلت المنْطاد الأحْمر يَعْرف الطائِرة الوَرَقية وكانت على البالونة الكبيرة ابتسامة واسعة.

وكانت هى مثل الطائرة أيضًا انخفضت وغابت بِسُرْعة عن النَّظر من جَديد بَقَيْتُ وحيدًا، أُشاهد الفَراشات الطائِرة، وألْمَس الزهور، وكانت ذُبَابة الحَظ تَحُط على إصْبَعى. من فوق التَّبة الثالثة طفل يَرْكُض وفى يَدِه نحلة خَشبية، بينما كُنْت أقَارِب بَيْنه وبَيْن أيام طُفولَتِى كان الطِّفل يأتى إلى جوارِى وهو يَرْكُض بالنّحلة، ويقول:

- هيا انْهَض، لِنَذْهب ، طريقنا لا يَزَال طَوِيلاً.

كُنَّا يَدًا بيدٍ وأطْفَال الدنيا يُلَوحون بالأعلام لنا، كُنَّا نَرْكُض على طول النَّهر والأطْفال الذين على الضَفَّة الأخرى يُطْلِقُون الصفارات لنا، وظِلالنا تنْتقل مع الأشْجَار على النَّهْر من جانِب

إلى جانب.

وفَجْأة عندما وقَفْنَا على الكُوبْرِي الخَشَبِي اخْتَفَت ظِلالنا.

فَسِرْنا .

مَرَرْنَا من بَيْن البيُوت القَديمَة.

وضَوْءُ القَمَرِ يُغَطِّى الحدائق.

الهدوء يُخَيِّم على الوِدْيان.

رأينا الجِبال وهى تَكْبُر.

كنا نَضحَك ولكن لم يَسْمَعنا أحد.

- مرْحبًا بكم فى بيتكم.

فَكانَت هذه الكَلمات الثَلاث كأنها نهر من السَّعادة تَدَفَّق بسرعة فى قلبى. فَبَحَثت عن صاحب هذا الصَّوْت الحُلو . لقد كانت هُناك يد خَفِية فَتَحَت البابَ بِسُرْعَة منْ الخلف ثمَّ ابتعدت من هُناك فى هُدوء.

لقد كان المَنْزل لَطيفًا جدًا، لقد كان الجَنَّة التى وُلدت فيها ونَشَأت وقَضَيْت طُفُولتى بها، وبمُجَرد أن وَطئَت قَدَماى أَوَّل خُطُوَاتها فى المنزل رَنَّ صَوتٌ شَمَل المَنْزِل كُله:

- مَرْحَبًا بك مَرْشَالنا ...!

هذا الصَّوت كان صَوْت أبى، كان يَجْلس على مَقْعد مَغْزُول من الحَصير، فقبلت يَده التى رَبَّتنى، لقد اشتقت لأبى كثيرًا، وكانت أمى تَبْكى من السَّعادة فاحْتَضَنْت كليهما. لقد كَبرْت وأَبى الذى كان يَدْعونى المَرْشال عاد يقولها من جديد، وقد قصَصْت له عن

النَّاس الذين تقابلت معهم بعد سنوات طويلة، الذين كانوا يُنادوننى قائلين:

سيدنا القائد فَبرَقت عَيْنَا أبى وقال:

- هذا هو انتصارى ثمَّ انْسحَب إلى غرفته.

فى تلك الأثناء تماماً ظهر صَديق دِراسَتى، وقال:

- هناك مَنْ يَنْتَظِرُنا.

أمْسَكنى مِنْ ذراعى واسْتَعْجَلنى، بِمُجَرَّد أن فُتِح باب الغُرْفَة التى كانت بها لُعَبى القَديمة بدأ فى اللعب فوراً.

كان يوجد فى الوَسط مَهْد به كان ينام طِفْلى الذى مات بعد ولادته مُباشَرة، فَرَفَعْت التُّلَّ المَوْجُود على وجْهه فاستيقظ!

كان عمر يضْحك، أبى لَم يَكُن يَعْرِف عما يُعَبِّر مَعْنى النَّومْ فى المَهْد، وأنا أيضًا لم أكن أَعْرف حَقيقَة ذلك، لكنه كان يُسْعِدَنى. ولا يُمْكن أن يَشْرَحه أحد، لقد كان شيئًا يرعد قَلْبى. وجلسنا على الكليم المُزَيَّن برسومات الزُّهُور. واستمر اللعب.

تحركت ألعابى التى صُنِعَت من الطِّين؛ فكان يَسير الحصان ذو القَدم المَكسُور، الساعة ذات الكروان كانت تدق، وأُخْتى الكُبْرَى وضَعَت الطَّوْق الأحْمَر لعَرُوسَتها اللُّعْبة، أَمْسَكَت فى يَدها عُودًا من فَرْع التُّوت الرقيق وجَلَسَت على وسادة صَغيرة من ريش العصافير. وفى هَذه الأشياء- تَمامًا- تَرَدَّد صَدى أغنيتها فى كل أرجاء المنزل.

يكون اسمًا لِعَرُوسَة

يكون جَنَاحًا للأحِبَّة

الصبايا يكْبرن .. زهرة .. زهرة



تنْسى الضّحكات

أختى دَغدغت عروستها وقالت:

– إنى أخفيت اسمك بجانب اسمى دائمًا، ألَست أنت صَديقى خَيال الذى أتقاسم معه كل أسرارى؟

لقد اتسعت الغرفة فى ظلال القمر. ولقد بكى الجَميعُ عند سَمَاع صَوْت عروسة القماش ذات الطَّوْق الأحمر. وحَطَّ بُلْبُلان على الخَيْط المَوْجُود على المهد، أنا عَرفت العَصافير، فَكَيْف لا أعْرِف العَصَافير التى أَخَذْتُهَا لابنى الصَّغير منذ سنوات ؟ لقد طَارَت من القَفَص المَوْجُود بالمنزل. ذهبت واخْتَفَت.

صِحت مناديًا : مَرْحبًا يا بنات. وقد كانتا صَغيرَتين، ولما لم يَكُن عِنْدى بنْتٌ فَكُنْتُ أُصيح عليهما هكذا .

ظَهَر فَوْق المَهْدِ وجهان، كان «جَميل» يَضْحَك، أما «سَرْدار» فقد كان يُبْدى الابتسامة المعْهُودة وكان كلاهما يُداعِب «عمر» الذى فى المهد من وَجْنَتَيْه.

قال جَميل: فليعش لقد أُصبَح لدى أخَوان أكْبَرُ منِّى.

قال سردار: اصْمِت! لقد وُلدَ قَبْلك لكنه مات بعد مِيلادِه بساعة واحدة، لم يكن سردار يعلم أن الأطفال تَكْبر بَعْد موتها .

كان عمر يَضْحك وهو يُلَوِّح بيده فى الهَواء وكَأَنَّه يبحث عن شىء فى الفراغ اعْتَدَل . وقال صائِحًا : أمى!

فانْحَنت الأم، واحتضنت الطفل، التى كانت تراه لأول مرة.

بَدَت فى وَسْطِ الغُرْفَة شَجَرَة ورد. عندما مَالَت الأغْصَان حَلَّقت البَلابِل. فَلَوَّح عمر بِيَدِيه للعصافير، وفَجْأة تَمَدَّدَت أغْصَان شَجَرَة الورد إلى أن وصلت حتى أَقْدَام العَصَافِير.

العَرُوسة القماشية كانَت تتجول داخل الغرفة وتَرْقُص، وبَيْنَمَا نَهضتُ على قَدَمَىَّ لكى أنضم إلى حلقة الرقص. وبينما كنت سأتعقب الحصان ذا القدم المكسور.

قال لي الطفل المُمْسِكُ بِيَدى : ها هو يوم جَديد يبدأ.

بِمُجرَّد أن فُتِح الباب امتطينا ظَهْر فَرَسَة كُحَيلانية بَيْضَاء ناصعة البياض.

قال الطِّفل صاحب الفُرِّيرَة: هنا يَفْتَرِق بِنا الطَّرِيق.

عندما توقفت الفَرَسَة تَرَجَّلْنَا على الأرض بِسُرْعة. وابْتَعَدَت عَنَّا بسُرْعَة وهى تَرْكُض.

فى تِلك الأَثْنَاء ارْتَفَعَ مِنْطَاد إلى السَّماء ثمَّ تَبِعَته طائِرَة شراعية ضَخْمَة . عندما هبط المنطاد حَلَّقَت الطائِرة عاليًا فَصِحْتُ قائلاً:

مع السَّلامَة .. وداعًا أيتها الطُّفُولَة .

ويمَّمْتُ حِصَانى نَحْو الحُقُول.



نجم لكل طفل

لقد كُنْتُ طفلاً رقيقًا كالماء، وفى كل يوم ، كنت أُمْسِك بيد وَالدِى، كنا نَذْهَب إلَى جوار شَجَرَة الحور الكبيرة المَوْجُودَة أمام المَسْجِد . ولأن أبى مَرِيض بالقَلْب، فَلَم يَكُن يَسِير بدون العُكَّاز، أينما رَأَيْتُ عُكَّازًا أتذكر أبى، وأنْفَعل وكَأن المَشْهد ذَاته يَمُر من أمام عينى.

عندما تُوفى أبى كُنْتُ ما زلت فى السَّادسة من عُمْرى، ويَوْم مَوْته بَكَت أمى، وكثير ممن يعرفونه، ولم أكن أعلم ماذا يَعْنى المَوْت. ولكن عندما التفت إلىَّ الباكون انْضَمَمْت أيضًا إليهم، انهلت فى البُكَاء. كنا ننظُر بَعْضنا إلى البعْض ونَبْكِى ، ولذا لم يكن يصْمت أَحَد . يحتضن



نجم لكل طفل

لقد كُنْتُ طفلاً رقيقًا كالماء، وفى كل يوم ، كنت أُمْسِك بيد وَالدِى، كنا نَذْهَب إلَى جوار شَجَرَة الحور الكبيرة المَوْجُودَة أمام المَسْجِد. ولأن أبى مَرِيض بالقَلْب، فَلَم يَكُن يَسِير بدون العُكَّاز، أينما رَأَيْتُ عُكَّازًا أتذكر أبى، وأنْفَعل وكَأن المَشْهد ذَاته يَمُر من أمام عينى.

عندما تُوفى أبى كُنْتُ ما زلت فى السَّادسة من عُمْرى، ويَوْم مَوْتِه بَكَت أمى، وكثير ممن يعرفونه، ولم أكن أعلم ماذا يَعْنى المَوْت. ولكن عندما التفت إلىَّ الباكون انْضَمَمْت أيضًا إليهم، انهلت فى البُكَاء. كنا

حَاولت أن أفْهم ما الذى يَجْرِى بالخارِج فكنت أرَى النَّاس الذين رَأيْتهم لأول مَرَّة يَطُوفون حول مَنْزِلنا، وقد اصْطف الأطفال واحدًا تلو الآخر على طول الطريق وأخى الأكبر كان قد استطاع أن يَصل إلى القرية خِلال وَقْت العَصْر، وحَمَلوا نَعْش أبى على الأيْدِى إلى آخر رحْلاته. لَمْ أسْتَطِع أن أقِفَ ثابِتًا فى مكانى فقد نَجَحت فى أن أخْلَع أحد ضلْفتى النَّافِذَة، وأخْرج إلى البَلكُونة. عندما خَرَجت إلى البَلْكُونَة ابْتَعَد الزِّحام، وقد بدأت النِّساء - أيضًا- فى الخروج من المنازل، أمَّا أنا فَكُنْت أشاهِد نَعْش أبى المَحْمُول على الأيدى.

على الرغم من مرُور شَهْر على ذلك، فإن عَمِّى لم يكُن قد حَكى لى الحدوتة وأنا كنت أهذى بالحدوتة ولم أكن أُشَبِّه الحدوتة بأى شىء. كان يُمْكننى النَّجاح فى الوصول من الأنهار إلى البِحار والبُحَيْرات بقارب. وكنت ماهرًا فى قطف الزُهور، وتسلق الأشجار، وعمل الطائِرات الوَرَقية . ولكنى لم أكن أفهم ماذا تَعْنِى كَلِمَة حدوتة. وقد قال لى صديقى خيال: لا تَحْزَن هذه الليلة أنا سَوْف أَحْكِى لك أى حَدُّوتة.

وكأن صَدِيقى الذى فى خَيَالى نَجْمٌ يُشْبه الأُقْحُوان.

وكنت لا أَسَع نفسى .

وكانت الشمس قد غابت عند طرف حَرَش .

الطُّيور حَطَّت على الأغْصان المُورِقة.

الظُّلْمَة لوَّنَت كل شىء باللون الأسود .

اخْتَفَت الأشْجار الطويلة جداً .

ذَهَبَت الفُروق بين الصغير والكبير .

الجبال اخْتَفَت فى الفَرَاغ، عَيْنَاى تَعَلَّقت بالنجوم، وفى تلك الليلة – أيضًا – بَدا نَجْمى كأجمل ما يكون وهو فى سَعَادَة غَامِرَة، القمر–أيضًا– بَدا كَوْجه طِفْل ضَاحِك، السَّماء كأنها تَجَمَّلَت بالزُّهور الضاحِكَة.

وطيَّرت أنا إلى وجه السَّماء ضَحْكة لكل زهرة .

كان القمر يتحول إلى طِفْلٍ يُقَهْقِه.

النُّجُوم كانَتْ تُشْبِه الزُّهُور الطائرة.

أما نَجْمِى فلم يكن هناك فَرْق بَيْنَه وبين الأُقْحُوانَة الضاحِكَة.

طال الليل.

سُمِع صَوْت أجنحة النوم .

ونَام كل الأطفال.

نَامت الأشجار.

نامت الأسْمَاك.

نامت الطُّيور.

أنا كُنت الطفل الوَحِيد الذى لم يَنَمْ.

فقال لى نَجْمِى: أَصْغ فأنا سَوف أَحْكِى لك أولَّ حدوتة:

كان .. ياما كان.. هُناك ثَلاثة: شَمْسٌ وقَمَرٌ..

طفْل أيضًا يولد. وكَان مَعْ كُل طِفْل يُولَد هناك –أيضًا– نَجْمٌ



يُولد فى السَّماء.

طِفْلٌ لِنَجْمٍ، نَجْمٌ لِطِفْلٍ.

بقدر ما يُولد أَطْفَال تَتَزَايد النُّجوم حَوْل الأرض.

لذا، فإن الدُّنْيا جَمِيلة؛ لذلك الأَطْفَال يُشْبِهُون الزُّهور.

أَنْتَ ما زلت طفلاً صَغِيرًا.

عَلَيك أن تَتَعَلَّم العددَ أولاً.

ثم صَيْد السَّمك.

سوف تتعلم من الغُيوم أن تغنى الأغانى فى الحُقول.

وستَتَعلَّم أن تَبْنِى بُيوتًا مِنَ الغُيُوم.

هذه اللَّيْلَةَ أنا سَعِيدٌ جدًا.

سوف أُصْبِحُ نَجْمًا لِطِفْلٍ.

فَلِكُل طِفْلٍ نَجْم.

ولكل نجم طفل، واقترب صديقى خيال من النَّافِذَة، وكان ضَوْؤه كالأُقْحُوانَة فَضَحَكْتُ، هو أيضًا ضَحَك كَطِفْل صَغِير.

عِنْدَما مَدَدْت يَدى نَحْوَه لم يتوان فى مَدِّ يَدِهِ.

فَسأَلْتُهُ قائلاً: أين ذَهَب أبى؟

فقال: إنَّه يَتَنَزَّه فى الحقول.

- لا بُدَّ أنها حُقُول بَعِيدة.

- كَيْفَمَا تَتَخَيَّلها فَسَوف تجدها هناك.

- إذن لا بد وأنَّه مكان قَرِيب جدًا.

- قَرِيبٌ جداً .

- فى هذه الحالة فلماذا لا أراه؟

- أَنْتَ لا تَسْتَطِيع أن تَرَاه . لكنه هو يَسْتَطِيع أن يَراك فى كُل وَقْت . إن المسافة بينك وبين أبيك بهذا القدر .

-هل هو يَسْتَطِيع أن يَسْمَع حَدِيثنا .

-نعم .

- فناديت قائلاً على الفور: يا أبى، لماذا فَارَقْتَنَا ونحن نُحِبُّك؟ أُقَبِّل مَنْ بَعْدَك؟

- قُل أُقَبِّل مَنْ بَعْدك يا أبى!

- فقال صَدِيقى خَيال: اصْمُت ولا تبك، فلو بَكَيْت سَوْف يبكى أَبُوك أيضًا .

فصَمَت.

فَضَحك صَدِيقِى خَيال.

قال : ستكبر، عِنْدَما تَكْبر فَسَوْف يُصبح كل شىء جَمِيلاً .

- متى؟

- لذلك سَوْف يَكُون اليوم قصيرًا جدًا . وسَوْف تكون الأيام الكَثِيرة مُهِمَّة جدًا بالنِّسْبَة لك .

- هل لكى أُصْبِح مثل أبى؟

- ربَّما لكى تَكُون أكْبر من ذلك أيضًا .

- إنَّها لُعْبَة جَمِيلة .

- سَوف تَشْعُر بى دائمًا وأنت بِجانِبى.

- هل ذلك لكى أكْبَر بِسُرْعَة أكْبر؟

- فقط لكى لا تبقى وَحيدًا.

- سَوْف نَكْبَر سَويًا.

- أنا على وَجه السَّماء وأنْتَ على وَجْه الأرْض.

- وكيفما أُناديك إذا أردتك.

- كيفما تشاء.

- ليكن اسمك «ناز»! بِمُجَرَّد أن قُلْت ذلك طار صَديقى خيال من السَّعادة. فى تِلك اللحظة تمامًا رأيتُ وكَأن أبى آت على صهوة جواد.

- فَصِحْتُ قائلاً: مَرْحَبًا يا أبى!

- وكان جَوَاد أبى يُشْبِه الحِصَان اللُّعْبة.

بَدأ جواده يَرْكُض.

كان أَبى يَضْحَك وهو يَبْتَعِدُ عَنِّى.

نجم لكل طفل

(حكايات للأطفال)

مصطفى روحى شيرين

رسوم : فِسون إيجيل



لكل طفل حكاية ليس لها نهاية.. وحكايات الطفولة هى الأيام التى عاشها كل طفل بأفراحها وأحزانها.. ومن ثم فهذه الأيام تمثل البهجة الوحيدة، والجنة التى عاشها كل طفل؛ إذ عندما يكبر يبتعد عن جنة طفولته وعن الأيام الجميلة التى لا تنسى. ولعبة الطفولة هى النجم الذى يختبئ فى قلب كل طفل من أطفال عالمنا؛ ولهذا فلكل طفل نجم.. وكاتبنا يهدى فى هذا الكتاب الجميل حكايات طفولته التى عاشها، ليقرأها كل أطفال العالم.





١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني ص . ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة
ت: ٢٥٣٢٩٩٠٢ -٠٠٢٠٢ فاكس: ٢٥٣٢٩٥٠٥ -٠٠٢٠٢
Cairo, Egypt Tel: 00202- 25329902 - Fax : 00202- 25329505
Web Site: www.safeer.com.eg E-Mail: info @ Safeer.com.eg